يا نجيّة القمر

عتيق بن راشد الفلاسي

اسم الكتاب: يا نجية القمر

المـــــؤلف: عتيق بن راشد الفلاسي

النـاشـــــر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغـلاف: محمد فاروق

التجهيزات الفنية: حسام أنيس

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٨٧٠٤

الترقيم الدولي: ٤- ٩٠ -٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية- دار الكتب المصرية

الفلاسي ، عتيق بن راشد.

يا نجية القمر: نصوص/ عتيق بن راشد الفلاسي.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٥ .

ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٤-٩٠-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١- المقالات العربية- مصر.

أ- العنوان.

٨١٤.٠٢

فلاسيّات

يـا نجيّـة القمـر

عتيـق بـن راشد الفـلاسي

الطبعة الأولى ٢٠١٥

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
أنا وأنت	٩
نصوصٌ بطعم الموتِ العشقي	١١
لسكر الليل خاصيّة التّعمّق	٧٧
يا نجيّة القمر	٩٧
قصّتنا مع المطر	١١٧
إلى امرأة تجيد فنّ التّماسك	١٢٩
تفاصيل رحيلك	١٣٧
قسوة الذّاكرة	١٨٧
شطحات غير مسئولة	٢٠٧

إهداء

إلى رفيقة دربي وجارة قلمي

التي شاركتني أجمل رحلات هذا الكتاب

أنا وأنتِ

أنا وأنتِ بسمة حبست على دفة شفتيها... لا يدعوها التّحليق فتحلّق، ولا يخمدها اليأس فتسكن، عانقت دمعتها فحار الورد كيف يفتتح صباحه!! أبدمعة باسمة، أم ببسمة دامعة، وأنا وأنتِ يا حبيبتي وراء هذه الحيرة الورديَّة؛ لأنّنا دمع الورد وابتسامه.

نُصوصٌ بطعم الموت العشقيّ ! !

زَاحَمتني عليك المُفردات

اعتدتُ في كتابتي لكِ أن أمخرَ عباب اللغة، وأحلّق في أجواء البيان ملتمسًا ما يليق بسموِّ عرشك العالي، حتّى إذا ما زاحمتني عليكِ المفردات الجميلة قرعت بينها لأنتقي لكِ ما يخضع رقاب الأدب بين يدي سموّك فتمدّين يدكِ لتأخذي ما تشتهين، وتتركي مالًا يملأ منكِ الحدقتين... ومع ذلك عنها وبغيرها تنشغلين!!!

ويحدث أحيانًا أن أقرأ ما يكتبه البعض من الكتّاب، فأقتبس منه فكرة جميلة أرصِّع بها تاجك الزّمرّديّ؛ لأنّي أعجبتُ بتلك الفكرة، حتّى إنّ بعض الكاتبات لتظنّ أنّني بنقلي الفكرة أقصدها، وأعنيها! وهيهات هيهات أن يكون ذلك.

مالي كلّما مررت على صورة جميلة استوحيتها لسموّك، فأدخلتها معامل حرفي لتخرج بأنفاسي لكِ وحدكِ يا أميرة البيان، وجليلة القدر والمكان... فتلك صورة وردة جميلة أقتبس من جمالها لكِ ما به أدخل إلى ضحكة الورد في خدّيكِ، وتلك صورة يدٍ منقوشة بالحنّاء سرعان ما يأخذني النَّقش إلى حرير كفيك، فأكتب عن النّقش في كفّيك مقتبسًا من الصّورة... فبأي طريقة سأكتبك، وأنا أراكِ في كلِّ وجه جميل، وصفحة حلوة نضرة... ومع ذلك عنها وبغيرها تنشغلين! اشتغلي بما شئتِ فلا ضيَّع اللهُ لكِ شغلًا!!!

لا عشت يومًا

لا يا حبيبتي... لا عشت يومًا لو تسلّل منّي حرف واحد يذرو على خدّيك شيئًا من الكدر، وما حياتي إلّا إشراقة خدّيكِ المتوغّلين في أحشائي حبًّا وهيامًا... ولا كنت يومًا لو أن زفرة ساخنة منّي تسببتْ في تقطّب جبينكِ الغالي ثانية من الزّمان، فما زفراتي التي أكتبها وهي مغموسة في ماء قلبي إلا لكِ وحدكِ لتفرحكِ لا لتسخطكِ.

قال لي قلبي إنّك تجرحها بمرّ لفظك! قلت: لا يجرؤ لفظي على رفّة عينيها غضبًا، وهو ليس إلّا مسخرًا لها، ولوصفها، ولحبّها، ولنورها الذي لا أعيش بدونه مهما كان بعيدًا عن عيني الآن.

مولاتي يا أميرة قلبي، ويا سلطانة حرفي، ويا مجموع سعادتي وفرحي... أحبّك وحدك! لأنّ الحبّ لم يخلق إلّا لعينيك، وأحبك وحدك على أيّ حال كنتِ من جفائي، ونسياني، وغضبك الذي يبدو من ردّك لازلت أذكره وهو يعصف بي يمنة ويسرة... فكيف ثمَّ كيف يستقرّ في ذهنك أن يتعدَّى حرفي لإيذائك وأنت أحبّ، وأعزّ، وأغلى، وأنقى النّاس قاطبة لي.

السِّرّ المختوم المقدَّس

صباحك اليوم كصورتكِ المطبوعة على جدران قلبي لا أعلم أمنها أم من هداية القلب، بها صرت أبصر الحياة من حولي طريقًا ممهّدًا لا عوج فيه، وأبصر النّاس حقائق لا يشوبها في عيني غبش، ولا سوء رؤية... وحول هذه المسألة أرجو ألّا تستعملي المسطرة، وأدوات قياس المساحة الأخرى فتحلّلي النتائج بإخضاعها إلى مدخلات غير منطقيّة من وجهة نظرك العنيدة؛ فحالي معكِ في حقيقته فوق المنطق وحدوده، وأطره، ومن هنا لا أعتقد أنّ عاقلًا يقرني فيما أنا فيه معكِ حتى يرضف على عقله عقلًا آخر يسمو به إلى رؤية ما وراء الدّارج.

ولنكنْ صرحاء أيّتها المشاكسة عقلًا ومنطقًا، الموسومة سرًّا شائكًا، الموصوفة نورًا مبدّدًا... ما سرّ أن أعيشك إفرادًا بقلب خاصّ، وكيان خاصّ، كأنّما انزوى خلف قفص هذه الشّبح منّي قلبان؛ أحدهما لكِ وحدكِ، والآخر يجري حسب التّعامل ليسع بقيّة الخليقة، بل إنّ في بياني، ومنطقي ذات المفترق... فللكِ وحدكِ ما لا يشترك فيه معكِ غيركِ، ولهذا أجدني على جميع الأحوال أحياكِ - يا وهم العمر - كحالة مفصولة لها طبائعها الخاصّة بها على مستوى الدّقائق من أوصاف الحياة.

ألا ترين هنا - يا سرّ سرّي - معجزة للمعاني الخفيّة حين يعسر على يد العقل فكّ وحلّ حزمتها السّرّيّة ليعرف ما في طيّاتها فيعود العقل قلبًا، وينقلب القلب حبًّا، فإذا بكِ لا أحبّك بعاطفة قلبيّة مجرّدة حتّى يستوي في نسق حبّاتها كلّ خليَّة في هذا الكيان؟ من هنا - وفقط - يصدق على الحال وشمه بالسّرّ المختوم المقدّس.

رسم اسمك

عجبًا كيف مكّنتِ رسالتك بالأمس من مجامع حسّي؛ فاستولت على فكري إقناعًا، وعلى مشاعري حبًّا وهيامًا، وعلى مواقع بصري جنانًا خضراء ممرَّعة في بيانها، أخّاذة في سبكها، ومع قلّة حروفها، واقتضاب سطورها قرأتها كما قرأتك أوّل يوم باشر شغلي بك كلّ خليّة في كياني. ولو أنّ عيني ليلة البارحة سبحت في بساتين الأدب سباحة المنتشي الحرّ في تطوافه ما أهدت قلبي نبضة حياة واحدة كما أهدتها رسالتك وقد جاءت تزاحم الظّلام، وتعصف بسدود الطّرق، وتهدم جدران المنع الحسّيّ والمعنويّ لتعانقني كما عانقني من خلالها اسمك الغالي فبتنا معًا... أنت من خلال رسالتك، وأنا من خلال كامل الحضور حبًّا، وانقيادًا لجميع دواعي ذلك الحبّ...

ما أحلى رسم اسمك بحروفه القليلة! لكأنّه رسم مبسمك الفاتن في جرّة قلم القدرة له، حيث لا تعدو هندسة خطّه دفقة حروف

اسمك، ولا تعدو حروف اسمك سيلان قطرة النّدى على مسار ثغرك... وما سحرتني الأسماء على كثرتها كما نفذ إلى مغاليق مقاتلي توهّج بريق اسمك وهو المميّز في نظري تميّز حمرة ثغرك إذا حكى قصّة الوجود كلها، ورسمه المختصر لا يتخطّى أبعاد مثعب قطرة النّدى تقول لصباح الدّنيا سأرويك من اختصار بلّة قطرتي...

ساعة في ضيافتك

وأمسيتُ ليلة البارحة مع ضيافتك وأنتِ تقدّمين لي صنع يديكِ من الطّعام أتلمّس موضع يديكِ يحوّل الطعام في حلقي شيئًا لا وصف له إلّا أنّه قطع الهناء، أو مكعّبات الحبّ، أو كريّات النّعيم أخلصت كفّاكِ لي فيها أيّما إخلاص يا كريمة المنبت الباسق في أرض الخيرات بلادي.

لا غرو أن قسّمتِ لي دفقات العطاء كلّ أسبوع مرّةً، فإنّ كثرة الحبّ مضرّة في تبتّلها كلّ لحظة في محرابي، وهي أكثر ضررًا حينما تغدو وتروح بيننا عبر قناة الوقت المفتوحة، لا يردّها سدّ، ولا يتمهّل بها عقل، وكأنّك على قرار التّجزئة هذا تستحدثين للعشّاق قانونًا يقضي بضرورة اعتبار الحبّ دواءً إذا ما كان الزّمن عاملًا مهمًّا في إنجاح رسالته الشّافية الكافية، فذهبت به مذهب القانون الكونيّ الفطريّ في تعطيل مبدأ الدّيمومة خشية السّآمة، وتمرير مبدأ إسقاط المطلوب على

حسب ضرورة الطّلب، كأنّما هو هو وضع الدّواء على مكمن الدّاء... هذا وبرغم أنّ دائي بكِ دائم، وشفائي منكِ محال، إلّا أنّ في تعويد حبيبات أطماعي منك التّؤدة حمية منك يا من لا أزداد مع ديمومتها إلّا جوعًا، وعطشًا.

أفدي أناملك الغضّة وهي تدير الإناء تصنع لنهمي حلاوة إقناعه، ولم تدرِ أنّها تصنع له شهد شرهه، وجشعه، وتطعمه مع كلّ لقمة من يديها رضعة من قلبها، ثمّ تحلّيه بأنواع مشتهاه حتّى تغرقه في عسل قربها إلى أجل موعود مع باب سرعان ما سوف يغلق، ويعود هو كما ترجع هي... ألا ما أقسى العشق لا يشبعنا إلا جوعًا، ولا يقنعنا إلّا عبوديّةً...

حياة الموت العشقيّ

من علامات حبّك خلوّه من شوائب النّزوات البشريّة الهابطة بالإنسان إلى عدم تمييز التّمييز، وترفّعه عن حظوظ البدن صاعدًا بالنّفس إلى ما لا يرى النّاظرون، ولا يخطر على بال بشر، إنّه نفخة روحيّة ترقى بالذّات، وتظلّ ترقى حتّى تستقيم معها فقرات النّور في حنايا الرّوح كما تستقيم فقرات الظّهر حالة الاستقامة البدنيّة.

وما من عاشق سأل محبوبه الموت كما سألته، فإنّ الموت بمَن أهوى هو سرّ الحياة الخالد، وهو طلسم البقاء بعد فناء ذرّات البدن في نوازع الثّرى، ومشتّتات الحفر... وهو كلمة السّرّ قبيل الإشراف على المستكنّ النّهائيّ لهذه الرّوح الحالمة، الهائمة في سبحات الجمال الكونيّ لهثًا خلف مَن وحّدت له الوجهة، فاستوت في إطار أبعادها جهة الحبيب شرّق بها أم غرّب.

وما الحياة وهي تفقد طعم الموت العشقيّ إلّا عذابٌ ينتاب الرّوح مهما تنعم البدن، وما هي إلّا انتكاسة القامة الآدميَّة في براثن الخسران حتّى تموت كما مات مَن سبقها في هذا الدَّرب الذي يبدأ بكلمة عشق، وينتهي بموت عاشق...

كلّ شيء من مظاهر الأثر لمحبوبتي قريب من مشربات حسّي أجده كما يجد عشّاق الدّونيّة طعوم هذه اللذائذ المنقضية الزّائلة. ويا ما أحيلى الكون كلّه في ناظري شرقه وغربه، وشماله وجنوبه، رغم أنّي لا أجد لقلبي فيه موضع نبض لأحد إلّا لحبيبة روحي... كلّه لأجلها لأنّها فيه، فما طاب إلّا بها، ولا تجمل إلّا بمرور خيال منها على خاطره، ولا حلا إلّا لأنّ الكون تعرّض يومًا للمسة شهديّة الطَّعم من كفّها في زاوية من زواياه...

قلم عشقي

لا تقولي هذه السَّاعة شيئًا، بل أنصتي لقلم عشقي وهو يضعكِ مع الثّريا جنبًا لجنب، فأنت أختها لولا عظمة إرسالك مع تتلمذ وميضها على أستاذ نورك يا نور قلبي، وظلّه.

وضعي القلم من يديك، ولا تخطّي شيئًا حتّى تسعري قلمي بشوق الليل فيسيل بك ذهبًا، وأقلام الأدباء تجري بمدادها.

لا تكتبي شيئًا فإنّني أحسّ بكِ وأنتِ تكتبين، وكأنّ قلمكِ ينقش على جدران روحي قبل أن ينقش على صفحة العشق المقروءة... وأحسّ به وهو يميد كما يميد الشّجر من سكره بالهواء، ويميد قلمي من سكره بالهوى... وآه من سكر الهوى، ليته كسكر الهواء ممدودًا، إذن لكان متكئًا على همزة النّهاية بدلًا من إطلاقه مع هذه الألف المقصور بها، ومعها...

ما أحلاني بكِ!

ما أحلاني بكِ! وما أجملني وأنتِ بقربي تنشرين ضياءَكِ حولي ليلًا ليملأ نورك المتوهّج قبّة كوني، فأرفع رأسي لأراكِ وحدكِ في سماء أشعاري، والنّجوم خجلى أن تزاحمك في سماء أشعاري؛ لأنّكِ وحدكِ جبارة السّطوع، ملكة البريق الأخّاذ، فاتنة الضّياء إذا نوى الليل أن يمكر بدروبي ليغطّيها بعباءته السّوداء الدّاكنة!

أرأيتِ كيف ينبعث العطرُ من حروفي وأنتِ راعية ورودها كتلك اللوحة التي تبسم ورودك فيها عن عطرها الفوّاح المنبعث من شقي ثغرها الفاتن... كذلك أنتِ، وأنتِ أحلى في صميم قناعتي من أحلى ورد، وثغركِ الباسم جبلة خلقيّة طبعت على معسوله أحلى ابتسامة ينتهي العمر ولا ينتهي استرسال قلمي في فلسفة وصفها...

وأنا شاعرك أنتِ! كم تستطيل صبايا الحسن على متن أشعاري كمرفأ لتحرّك هاجسها فلا تحيا حتّى تسكبي عليها من زعفران اسمك مادّة الحياة السّرمديّة الباقية...

قولي أيَّ شيء!!

قولي أقبلْ يا حبيبي إلامَ تشرق حلوقنا بغصص الظّمأ، وتتقرَّح أشداقنا بطول النِّداء!!!

قولي يا حبيبي ما الذي غيّبك؟؟ ما الذي على سهام السّهد في هذه السّاعة صبرك؟؟؟ أليست تلك هي ساعة الرّوح المنتظرة؟؟

قولي وأسمعيني ما تقولين، فما أعتقد أنّني سامحت ساعات الفراق الماضية إلّا على مضض، كيف لا وقد غيبتِ عني ضحضاح نورك المتمايل على ضفاف روحي الولهى...

قولي حبيبتي... بربّكِ قولي... قولي كلّ شيء... بعض شيء... أيّ شيء!!

اللمسات الغيبيَّة

أتدرينَ ما معنى اللمسات الغيبيَّة المنبعثة من دفء حرفي إليكِ؟؟ أَأَدْركتِ يومًا ما سرّ جنوني وأنا أقرؤك، أو أراسلك، أو أدور حول أنفاسك أينما كانت؟؟

وهل هتف إليك اهتمامي بظلّك الوارف على مرافئ حرفك وأنا أزحف خلسة إليكِ خوف عيون الرّقباء لأقول لك خارج حدود الحدود "أحبّك"... كأنّما محوتهم بجمالك وقوّة تأثيرك؟؟

ألم تسألي الحال مرّة ما سرّ تبتّل كينونتي في محراب كينونتكِ أنتِ فقط؟؟ ألم يُخلق غيرك؟؟ أوليست تلك هي مسارح الغيد الفاتنات يرفلنَ في ثوب السّحر ولا يجدي معهنّ نفث نافث ولا رقية راقٍ؟؟ فلمَ أنتِ بالذّات أنسى في تذكّركِ الوجود كلّه ظاهرًا وباطنًا؟؟

المبسم الفيروزي

يا مساء المبسم الفيروزي المحتضن لفائف الورد القاني، لا يهدأ من ثورة الوهج حتّى يملأ ليلتي نداءً هامس الأنفاس، ويعبق في دنيا يومي الجديد بأحلى ما جادت به ليالي الأعراس... أحبّه من بين قسماتك الفاتنة كلّها، أتدرين لماذا؟؟؟... لأنّه أعجز العوالم كلّها أن تسكر اسمي كما سكر به، وأتعب الإناث جميعًا أن تصل إلى سرّ روحي المصون كما وصل ثغركِ الغالي إليه ما بين انطباقه وانفراجه ساعة ولهٍ جبَّارة.

البحر الملهم

ذكرتكِ وأنا أمام البحر فتحرّك في خلدي الحديث الآتي: بين البحر والقلب غمرة السّرّ الدّفين، ووصلة الحياة الكامنة في العمق المكين،القلب سرّ المعاني الإنسانيّة، والبحر سرّ الثّورة الحسيّة المتربِّصة بكلِّ كائن لا يتّفق مع قانونه. البحر محلّ صراع الأشباح الحائمة، والقلب محلّ صراع النّوازع الكامنة... وكلاهما ناطق صامت، فالبحر ناطق بغضب، والقلب ناطق بحبّ ثائر سموه مجازًا غضبًا.

لقد وقفتُ هنا فطالَ بي التّأمّل حتّى رأيت البحر أمامي كقطرة انسلَّت من فم السَّقَّاء فلم تصب مما أصابت شيئًا... ورأيت قلبي يمتدّ عرضًا وطولًا كالمحيط اللاهادي يستعلي بأسراره عن البحر مهما علا هديره. يا لله من قلب أدهش بحرًا ووسعه صدر ابن آدم الذي يضيق بأتفه الأشياء، ولو أراد لاتّسع لرحابة الفضاء.

مالكِ شاخصة بناظريكِ... ترى هل رابكِ البحر أم شدّك القلب؟ هل رأيتِ نقطة ماء أخذها طائر بمنقاره من عرض المحيط؟ ذاك هو البحر الخضمّ نقطة ضئيلة أمام قلبي يا نبض قلبي!!

أحسن الحبّ أم أساء

صباح الخير يا مَن تعاركني جميع جوارحي في حبّها كلّ جارحة تحبّها أكثر من الأخرى، ويا مَن أحبُّها ظالمًا في حبّها روحي التي نسيتُ مجرّد الالتفات إليها، وهي سواد عينيّ، وكمال عقلي، ونهاية إراداتي.

صباح الخير يا مَن لا أجافيها لأنّها قستْ، ولا أنساها لأنّها بعُدتْ، ولا أقلاها لأنّها قلتْ، بل أستجمع كلّ ذرّات الهوى لأوحّدها في هواها، وأجلب إسفارات النَّهار لأهتدي بها إلى ضحاها، وأستمري في قسوتها لي مضغ الحجارة لعلّها تكسبني جميل رضاها.

صباح الخير يا مَن ناديت جميع النّساء لأجلها نساءً، وانبرى قلمي يناديها مولاتي رفعةً، وثناءً، ولو كُتب لي من عمر جوارها بُلْغةُ توفيق لأعلمتها أن إفرادها بين طيَّات آدابي حقيق، وحقّ، ولا منٌّا عليها لأنّها محبوبتي الوحيدة أحسن الحبّ أم أساء.

كالصّباح أنتِ

كالصّباح أنتِ خفيفة ظلٍ، حبيبةُ وفادةٍ، ثريّةُ عمقٍ، نسيبةُ عرقٍ، تنثرين في محيط حدقتيَّ لون القرار، والاستقرار ببساطكِ المورق فتهدأ لديّ ثائرة العيون بعد ليلٍ جرّح الجفن، حيث التحديقُ في مغبّات السّهر... وكذلك الصّبحُ وهو الوجه الوحيد المتفضّل على الدّنيا بمباركة جنانها وهي في عيدها الصّباحيّ الأخضر، بعد ليلٍ الأنفاس الكئيبة تنشط من عقالها الليليّ لتغنّي مع الصّبح أنشودة الخلود الأخضر على لحن الطّير الغادي في طلب الرّزق، ولا وجهة له غير مستودع الصّباح الأمين.

وكالصّبح أنتِ لحبيبات الذّهب الشّمسيّة المطلعيّة ناثرًا، وكأنّ يده وشذرات الشّمس تلمع في راحتها نثار عروسٍ تسابقت الأيدي إلى حضرة كوكبتها إذ تحار العين بين نثار الذّهب، وذهب النّثار المتوهّج حمرة في خدّيها ساعة إشفاق الشّوق عليها ألّا يزيد على الخدود فتحترق، ولا يُنقص الوجه الصّبوح فيختنق.

كالصّبح أنتِ يا ملاكي، وأنا بلبلكِ الغريد صبحًا، لا يروق له غصن يشدو عليه ما لم يكن مطلًّا على نافذة أنتِ خلف ستارها قمر الليل، وسراج النّهار.

سكناك قصائدي

انظري ماذا فعلتِ بهنَّ يا مولاتي وأنتِ تختالينَ بينهنَّ في قصائدي ورياض نثري. لقد قتلتهنَّ الغيرة حنقًا وغيظًا، حتّى صارت الواحدة منهنّ تستبسل بسالة المنهزم في الميدان بسلاح تصطنعه اصطناعًا، وتتقلّده تمثيلًا بالشّجاعة. إنّهنَّ لا يفترْن عن قراءتكِ في همسي فيتطايرن غيرةً منكِ تنفثُ ما بهنّ من غليان... حتّى إنَّ الواحدة لتترنَّح مضطربة اضطراب الفكرة في رأس النّمل لا تأوي إلى قرار، ولا تستند إلى استقرار.

وإذا ما قرأنَك في فيض أدبي وأنتِ تبزّين بها الطّير في شدوه حاولنَ التَّماسك من الغيرة فلم يجدنَ إلّا الإيواء إلى ركن السّكون حتّى تهدأ النَّار... وأنتِ يا أميرتهنَّ لا تصطفين القصائد، بل هنّ مَن يصطفينك، كلّما حلّقتُ بك في قصيدة ناداها الفضاء والتمسَ منها عدم العودة إلى الأرض؛ لأنّ سكناك قصائدي نوع علويّ تعجز الأنوثة أن تباريه حتّى تطلب منه منّة التّعطّف والرِّضا.

شوق وقلق

أحبكِ أنتِ يا مَن أقلقتكِ نبرة الحزن في مقطوعاتي على غير عادتها! فلقد اعتادت المثول بين يديك في كامل كمالها، وكامل جمالها... تراقص النّجم من فوقك وكأنّ النّجم يسّاقط في هالتك يستجديك نظرةً، ويستسعفك بسمة ليليَّة من نوع عقيقيّ الأُطر.

أحبّكِ اليوم بقدر حرصكِ... بقدر قلقكِ وشوقكِ... بقدر استرسالكِ معي بلغة لا إراديَّة منك لأنّها غلبتك على أمرها فكادت تلغي المكان، والزّمان لتقولي لي حينها: أقبلْ فقد اشتقتُ إليكَ شوق قلق"...

أتدرينَ ما سرّ نبرة الحزن في روائي ليلة البارحة؟؟ إنّني قستُ ما بيننا من مسافات فرأيتُ أقربها منكِ أبعدها مني، مللتُ حينها تصبيرة حروفي وأنا لا أخطّها إلَّا وأعيشك حال الصّياغة لا ينقص منكِ شيء، ولا تبخل عليّ رؤى المستحيل أحيانًا أن تستثني لي ثغرة من خلال سدودها المنيعة أراكِ من خلالها بقدر جبروت حبّك المبني منه عظمي ولحمي.

ما أطيبك !!

ما أطيبك، وما أرحب سعة خلقك، وما أشفَّ هذه الرّوح التي تتمتَّعين بها... كأنّها لكثرة ما يظللها من احتياطات الإنسانيّة الفطريَّة أجنحة اليمام لا تهوي حتّى يقلّها التّحليق ثانية، فإن نزلتْ توخَّاها التّوازن المتمكّن حتّى تنزل في سمو التّحليق، وترتفع في خفّة النّزول. .

هذا ما يسمّرني أمام باذخ خلقك أصفه سجيّة سجيّة، وأعتمده في مادّة أدبي مكوّنًا أساسيًّا يمدّني دومًا بكلّ جميل، ورفيع.

لا تتعجّبي من حالي وأنا لا أضع نصب عينيّ إلّا رسالة قلمي، وترجمة دواخلي، وشرح مكنوناتي... وتأكّدي أنّ كلّ فكرة تستدعي اهتمامي في حياتي أزنها قبل الأخذ بها، فإن وجدتها صغيرة خفيفة استثقلت أن أمدّ إليها طرفي ناظرًا؛ لأنّها دون مقاسي، وأصغر من شأو تطلّعي وغاية مرادي. ولست ممّن توقف عجلة سيره تصرّفات جانبيَّة قد لا يريد منها صاحبها إلّا خيرًا؛ لذا فإنّ من الخير الذي أعتمده قانونًا لحياتي إحسان

الظَّنّ بكلّ مَن جافاني، أو عاداني، أو شغل باله بي، وما نمتُ ليلة إلّا وقلت: اللهمَّ سامح مَن ظلمني، واعفُ عمَّن أساء إليّ، واشغلني بعيوب نفسي قبل شغلي بعيوب الآخرين... فإنّ لكلّ إنسان عندي عذره الذي من خلاله لا أصافحه في غيبته إلّا بيد من تسامح وغفران... وما يشغلني أكثر شيء واحد لا ثاني له، هو خوفي من غشمي، وظلمي، وإساءتي لمخلوق يبطن في نفسه عتابًا لا أعلم عنه شيئًا.

اعذريني !!

اعذريني لقد أطلتُ الوقوفَ اليوم شاديًا بحبّك كالملهم القاطن بين غيض البحر وفيضه، فإن غاضَ انفتحتْ عليه سحب حضورك، وإنْ فاضَ استقبلته منّي أسارير غرامك فعشت الغيض والفيض لا أعرف وأنا معك إلّا المحيطات سقيا أشعاري، وغيث أنثاري...

ولو أنّي وقفت من موقفي هذا مستلهمًا من ضي حضورك إسعاف قريحتي لذهب الزّمان وما جفت عروق إمدادك لقلمي وهي تغذوك براهين الغرام على تسلطن الذّات منك يا عرشها العملاق... وها أنا أخلّي السّاحة من كلّ شاعر، أو ناثر فكر يومًا أن يحلي محبوبته ولو بلون اللمعان من حلية هذا المنجم المغدق بك ومعك أحلى ما تفوّه به حرف عاشق.

أنا هنا في مركز طردي بين حضورك وفلسفة نبضي الماطر، ألقاكِ فلا تقنعني فيكِ كلمات الأرض، وأفتقدكِ فلا تكفيني في رسم معالم

شوقي بحور الشّعر، وجوانب النّثر، فما أنتِ بقلة يكفيها القليل، ولا زاوية أنثويَّة يسكت الشّوق إليها كفاية النّزر اليسير، أنتِ مملكة حبّي تصبحين في ثوب وتمسين في آخر، وبينهما حياتي وموتي.

اعذريني وما أراكِ إلا مللتِ الوقوف اليوم على شاطئ نزفي فاشتغلتِ بغيري شغلًا حملني على طيّ ما لديّ لأرحل حاملًا حرفًا لكِ، وقلبًا هو لكِ لا محالة، علّ ذكريات المكان تعانق ذكريات الوجدان فتصبح حروفي ساعة رحيلي رموزًا ناطقة لا يعي لغتها غيرك.

دعيه في غفوته

هي أجمل السّاعات تلك التي أكتب فيها وأنتِ معي، تتابعينَ مواطن القطر من فيضي كلّما تنفّس الحرف منّي التقطته محاضن عينيكِ برعاية النّظر، والتقطته رعاية أناملك بأن تبوّئه مكانة القمر بين النّجوم، إلى مكان صارت فيه عطايا حرفي كريمة لكرم كفّيك الرّاعيتين... بالله عليك ألّا تغار الحشود من تدلّل حرفي بين كفّيك؟ من رقصه وحبيبته تميزه وتبرزه، وتعلن الوصاية الملكيَّة عليه، كأنّما تقول هو لا غير... دعيه في غفوته حيثُ أحضان راحتيك تهدهده بعد عناء، وتحتضنه بعد يأس.

وتسأليننني!!

وتسأليننني لَمن أسوق هُتن سُحبي كلّما لاح سُهيلُ أشواقي في الليالي المقمرات، ومعي وحولي أوراق الشّجر الليليّ يواسيني بحفيفه الرّيّض، وفنجان قهوتي بوجهها الأسمر عاكف في قيامه ليشكّل مع سواد الليل "دويتو" أنشودة السّهر الحالمة يطلقها الليل لتحتضنها رماديَّة الفنجان السّمراء السّارية بسوادها في عروق كتب اسمك على مجريات حركتها وسكونها.

وتسأليننني عن معزوفات الليل لَمن أرسلها! وعن آهات الوجد لَمن أنسجها! وعن سواكب الدَّمع لَمن أرعش أصابعها في قبضة الشّوق الجبّار!

تسأليننني عن حالي المولودة على قابلة حبّك ولم تعرف مذ كان الهوى غِرًّا نسبة إلّا إليكِ... وتسأليننن!!! حتّامَ تسأليننَ وتلك حياة لم أستثنِ منها شيئًا ملأتها ضحكًا ولعبًا... صبرًا وعويلًا تكاد حروفها تنطق بلسان، وتسمع بأذن... لأنّها أحبتكِ بقلب، حتّى صار لكلّ حرف قلب مستقلّ بحبّك... ومع ذلك تسأليننن!!

يقول لي عقلكِ لا!

يقول لي عقلكِ لا! وفي عينيكِ ترقد طفلةٌ لم تفتح عينيها بعدُ على مكر العقلاء، وتدليسهم! طفلة يداعب الهواء ضفائر شعرها بعيدًا عن نمطيّة النّسق، ورتابة النّظام، وسماجة المنطق التقعيديّ... إذا قالت تجمّعت الحروف على لسانها الصّغير كاسرة ومحطّمةً جميع القواعد الصّرفيّة، ومع ذلك من خربشتها ينبغي أن تتعلّم الإنسانيّة فنّ العبث وقد سئمت الحدود، والأرقام والمقاييس برهة من الزّمن...

أنتِ طفلتي تلك فعيشي في عالمي على خلاف المفروض؛ إذ ما لنا ومسطرة العقل تزيدنا حدودًا لتأسر حرّيّتنا ونحن يا حبيبتي بحاجة إلى جرعات جنون؛ فحبّنا اليوم ضرب جنون، فلنمتْ في بعضنا جنونًا، ولنفاخر غدًا بفناء نعيشه جنونًا، ولقاؤنا الموعود لا خير فيه لو مضى في قبضة التّعقّل... ألا مرحى به جنونًا!!!

تعالي يا منى خاطري لا أقل من أن نتلاشى في هوانا السّرمديّ ليعلم العشّاق أنّهم ما خلقوا بعقل، وتلك قبورهم "عليها تراب الجنون بين الخلائق...".

أحبّكِ بكلّ جنوني

أنا أحبكِ بكلّ جنوني، وأناجيكِ هنا لتقرأ الأجيال نوعًا من شغف المناجاة لا يفصل إلّا على مقياس رفيع المستوى، وكأنّ شطائر الكلم هنا لا تصوغها يدي إنّما يمدّني جمالكِ بخامها الطّبيعيّ متدفّقًا في دواخلي المليئة بكِ فتدرّ حكمة، وتمطر غيثًا أغلى من الذّهب...

أحبّكِ أنا فافتحي مسامع قلبكِ لرنين الكلمة، وبأنفاسي الحرى ممزوجة بها فقد أصبح يأتيني منكِ أنفاس الحياة لا أنتفع بها ما لم تمتزج بحر أنفاسك فأتنفّسك بقدر ما أحبّك... وأحبّك بقدر ما أتنفّسك... ألا فأسمعينيها مرّة، مرّة يا حبيبتي هي كلّ مرّة في عمر وجودي على كوكب جمالك السّافر...

قولي مرّةً أحبّك بقدر سؤالي عنكِ، وبقدر شغفي بالبحث عنكِ لو غبتِ عن إنسان عيني يومًا أو بعض يوم... وما ضرّ لو قلتها وكم قرأتها في سؤالك، وأحسست بها في بريق عينيك المنهكتين من التّجوال والبحث عني لو غيبتني السّاعات عنكِ مرَّة... أحبّكِ يا جنونًا في ثياب عقل.

القصد أنتِ

القصد أنتِ لكِ الأشعار أنسجها

بذكرك العذب أشكالًا وألوانا

طرّزْتُ باسمك أحلى ما تردّده

أحلى الحسان على الأيّام ألحانا

أميرة العرش فاض الكأس وامتلأتْ

روحي غرامًا فردي الكأس ملآنا

تسابقني دعوتكِ

تسابقني دعوتكِ الغالية على روحي مع أوَّل لقمة إفطار تخالط جوفي..."إفطارًا هنيئًا وقبل الله صيامكم..."... دعوة تتحدّر مع المزن الهامي لترويني ويبتلّ بها كلّ عرق فيّ تصحبها ملائكيّة الزّمان، والمكان في ساعة من أعظم ساعات الزّمان تحتفل الأرض بها في عرس رمضان البهيّ الفرح...

وتمضي دعوتكِ أتذوّق هناءها في فمي، وسمعي، وبصري، وكأنّ فرحة الإفطار توزعت معها لتشمل جميع مساحات جسدي، وأرجاء روحي؛ لأنّني أعلم أنّكِ ما دعوت بها إلّا وهي مرسلة منكِ إلى كلّ شيء فيّ بما في ذلك فرحتي التي تلقّتها من حركة أناملك كما تتلقّى الأرض بجميع مساحاتها أوّلُ ابتسامة للمطر لتضحك به عيونًا وأنهارًا...

ولا عجب أن أجد منكِ حضورًا في لقمة الإفطار يساكنني مع غيث دعوتك الغالية، وكأنّك بكليتك تهيمنين على كليّتي كما هيمن حبّك على بقاع قلبي، من يدك الرّقيقة وهي تلامس شفتي تصيبني بأهنأ ما أفطر به الصَّائم إلى نظرة عينيك الذّابلتين السّابحتين في بحار أدبي كلّ يوم لا تنام عينك إلّا وحزمة أشعاري وأنثاري في حضنها رقدة طفل أو إغفاءة مدلّل...

بين اسمكِ والورد

اشتقت هذه السَّاعة إلى ندائكِ، وتموج اسمكِ البلوريّ على لساني أكثر من مرَّة، فإنّ كلّ مرّة من ندائه استشعار لذّة مختلفة عن الثّانية.

إنّ في اسمك سمة التّجديد كما هي في قفزات فنّك، وعشقكِ المفتول من وشم الطبيعة، وكم أعشق الطبيعة في زوايا عدستك لأنّ اختيارك عندي هو الأوّل على بنات حواء فيما يفاخرن فيه من اختيار...

إنّ كلّ شيء فيكِ يحمل طفولة جديدة، وخاصّة اسمكِ المجتزأ من جمال الكلمات كما تُجتزأ وريقة الورد من دائرة لفافتها، وبين اسمكِ والورد سهولة النّطق غير أنّ العطر الفوّاح من اسمكِ يخجل الورد أن يزاحمه يومًا إلّا اللهم في معسول اللفظ، وسهولة الورود.

آه من اسمكِ حينما أتلوه في صفحة ينبعث العطر من جنباتها، وآه حينما أرسمه فوق منضدة مكتبي أكسب منه إحدى الحسنيين... الرّسم الرّشيق، والنّغمة السّاحرة...

حينما ينبري قلمي لكتابتك

حينما ينبري قلمي لكتابتكِ، وصياغة معناكِ تسكت بقيّة الأقلام منصتة إلى رجع تغاريد الجنان تبثّه حناجر أطيارها عبر صرير قلمي المنتشي بسكرة الخلود في بحار معانيكِ الزّاخرة يا روحي، فلا عجب حينها أن تهجر الطّيور أوكارها إلى حيث أنتِ يا أحاديث الجمال في مسامع من هامات الكمال.

ولا عجب يا إدمان حرفي أن أكتبَ عن حبّكِ في أقصر عبارة لا يفهمها إلّا الأفكار الرّاقية رقيّك، والقلوب القريبة من علوّك، وينطلق صداها كأحزمة الضّياء تشقّ الأوساط معلنة أنّ الضّوء كما هو أسرع حبيبات النّور فإن أدب معناكِ أسرع حبيبات السّحر تفننًا، وتأنقًا، واصطفاءً، وتبركًا.

وبمعناكِ وحده أتحدَّث عن دقائق اللغة فتجثو معاجم الجمال اللغويّ دون صفحتكِ في أدب الطَّالب، وذهول المطلوب، وتتسابق المعاني إلى احتضان روعتكِ تصوغها دروسًا من سوالف العشقِ الأزليّ لحاضر الإنسانيّة ومستقبلها.

لذا أحبّك... ولم أفكّر في حبّ غيركِ يومًا مهما زاحمتني فيكِ الأنداد، وقرّبتني إليها نواعم الغيد وهي تعيش حروفي أحلام النّوم، ومعزوفات ما قبل النّوم.

أحبّك خارج أطر التَّفكير؛ لأنّكِ ملاك فكري كلّه، قائمة فيه قاعدة، سابرة سائرة، لو رآكِ الرَّائي لقال إنّك الفكر وهو دخيلكِ، وإنّك الشّعور وهو نزيلكِ، وإنّك قلبي وهو متيمكِ، وقتيلكِ.

في صوتكِ هدوءٌ

في صوتكِ هدوءٌ يتموّج بي فوق إدراكات الحسّ، ودون سبحات الخيال، وفوق مجريات العادة، ودون حدّ الخرافة... لكأنكِ تنفثين في موجات همسه من سحرك الفاتن ما يجعلني أتوزّع في استقباله ألف جهة استقبال، لكلّ جهة مراسمها فوق مراسيها الهادئة الهادئة...

أنا أعشق صوتكِ الهادئ لأنّه يتفنَّن في تنويع مشتهاي حتّى إنّي لأعانقكِ من خلال ندائكِ لي "يا حبيبي" عناق سكر، واحتضان ثمالة لأجد صوتكِ في مسمعي يحبّب إليَّ كلّ صوت في الوجود أبعد فترة محتملة.

أنا أذوب في صوتكِ فيتحوَّل كونًا يسكنني وأسكنه، ومازلت حائرًا بأيّ لغات السّكر تحدثينني، وبأيّ لغات السّحر تمرّضينني بكِ مرضًا هو مكمن شفائي من داء الالتفات إلى محيط الإنسانيَّة بأكمله حينما لا أجد لكِ شبيهًا فيه فأقدسكِ بكلمة واحدة"... يا إنسانة خصّتها الإنسانيَّة بقداسة الغيريَّة ضمن محيط الإنسانيَّة".

قصّة راحتيك

ما أدركت معنى السّكون يومًا إلّا ساعة كان رأسي فيها بين كفّيكِ تُمرين راحتيها فوق شعري الثّائر، وفي كفّيك تيَّار السّكون الهادئ يسري في أوصالي فينسيني أنّ ثمّة كونًا يحيط بي، وينسيني أنّ ثمّة بشرًا يشاغلني رغم أنّه عنكِ لا يشغلني...!

وتتهادى راحتاك في ضخّ تيّار السّكون، وحينما يغيب الشَّفق، وتهدأ جحيم وهجه الأحمر، ويبدأ السّكون في مغازلة النّجوم... حينها فقط ألغي من قائمة شغلي كلّ حركة أتأثّر في الكون بها، فهنا أنت لا غير... أدير وجهي ساعة الظّمأ إلى ريّ جمالكِ لألقي نظرة إلى عينيكِ ثمّ أعاود الاسترخاء بين كفّيكِ ذلك الحرير المنسوجة خيوطه من سكون، وليل، وعطر، وشمعة...

وقلتِ لي يا حبيبتي ونحن في قبضة الحبّ الحاكمة الجبار: "أحبّك معنى يشرحه هذا السّكون الليليّ".

قلت لك: أحبّك معنى تشرحه حركة بنانك وهي تختزل السّكون فتحيله هيئة أخذت من الحركة ألطف ما فيها، وأخذت من السّكون أهدأ ما فيه، فطفقت بك أتقلّب في حضن من سكون وحركة.

أحدّث بوصفكِ النّسيم

ما أحلاكِ في الصّبح خاصّة، وبسمتكِ تملأ رحابة وجهكِ حينما تتحرّك شفتاكِ بترنيمة الصّباح التي نذرت أن تقبّل مبسمكِ وأنتِ تغالبين بعينيكِ الذّابلتين بقايا النّوم فاتحة كلّ صباح...

وما أنا بما أفيض به كلّ صباح من رحمانيّة الحبّ إلّا لكِ وحدكِ، فلك شعري وشعوري، وكأسي وعبيري، لكِ أنتِ وحدكِ يا حبيبتي... وكيف تكون لغيركِ وحركة دورتها الدّمويَّة مناطة بكِ، تضخك كلّ آونة وحين، تضخك حالة رضاكِ، وحالة غضبكِ، حالة جدّك وهزلك... تضخك كلك، تلقاكِ ساعة الرّضا فتطرب طرب البلابل على معزوفة الأفنان المتواجدة... ويا لرضاكِ وهو يبرق من حروفك الغالية يناديني أنْ هلمَّ إليّ أُغرِ بوجدك المسطور قلب السّحابة فتمطرك ربيعًا لا يكون سيبه لغيري... وأحدّث بوصفكِ النسيم فيصاب بوسوستك الشّاغلة ليداعب بعطركِ شعيرات رئتيّ المتنفّستين بحرفكِ...

سألت هذا الصَّباح

سألت هذا الصَّباح أن يريني شيئًا منكِ الآن، وأن ينقل لي عبر وهاد الزَّمن قسمات وجهكِ ساعة قراءتي في باطنك، وابتسامتكِ البريئة إذا مرَّت على شبكيّة عينكِ خطواتنا في الصَّباح على حافّة نهر جارٍ كادت أقدامنا أن تحرفها حوافه لتسقطي فيه فتشدّك يداي إلى طوق النَّجاة فوق صدري الواله.

عجبًا للصَّباح معكِ وطعمه الأصفر القاني كيف يحلّي في فمي لونه مع أنّ اللون يرى ولا يطعم... غير أنّه إذا امتزج بقربكِ انسحب على الحواس كلّها مطعومًا ومشمومًا ومرئيًّا ...

أنتِ في الصّبح حديقة غنّاء من خضرة وماء وشمس وهواء، وتلك هي حزمة الحياة لَمن قرأ الطّبيعة بعيدًا عن تدخّل يد الإنسان فيها، وأقسم لكِ غير حانث أنّ أنفاس الصّباح كلّها بعبيرها الورديّ الأخاذ ما استهواني مرَّة حتَّى أعبر إليه عن طريق شفتيكِ إذا تعهّداني بفنٍّ راقٍ يرسمان على شفتي قبلة الصَّباح خالصة لم يكدّر الليل صفوها.

اجمعي شتات ضحكاتك

قلت لكِ يومًا اجمعي شتات ضحكاتكِ لتنشريها في أجوائي أوّل كلّ صباح، فإنّ وشوشة ضحكتكِ الحلوة تهبني صباحًا مختلفًا، كما وهبني حبّكِ عالمًا مختلفًا، ولازلت أذكر صباحاتنا الحلوة كأنّها لم تزل دافئة الفيء، منشورة الضّياء، عبقة الأنفاس تبدأ بانشقاقها تفصل ما بين تلاحمنا الليليّ لتبعثني من جديد بحَّارًا في زورق ضحكاتك الصّبحيّة المبثوثة فرحًا، والمجنونة عشقًا... حتّى إذا ما بدأت في نشرها خلقتني من جديد جديدًا في كلّ شيء، أحبّك اليوم كأحلى وأحدث ما يتكوَّن الحبّ في رحم الأيَّام يا ملكة الابتسام في دنيا تصبح تصارع الدّرهم والدّينار على حساب خلايا السّعادة المقتولة كلّ صباح.

اضحكي هناك في صباحات الماضي الجميل فإنّ ماضيكِ حاضر عمري ومستقبله، فما مضى بنا يا حبيبتي لم يزل قوت قلبينا اليوم، وزاد القادم من أيّامنا المقسومة لنا...

اضحكي أكثر هناك لليوم، واضحكي فما أحلى أن أقبّل مبسمكِ الصّبحي المتورّد وهو يداعبني بإرسال تلك الضّحكة الصّبحيّة أثناء توارد القبل عليه... اضحكي في دنيا بلا ناس، وربيع بلا زحمة.

فلاسيّاتي وأنت

حينما أدخل "فلاسياتي" أعيشك فلسفة خاصَّة من فنّ المناجاة الرّوحيّ الخالص من مزاحمة السّوى، ولو لم أمسك قلمًا، وأسكب فوق البياض حبرًا لكان حضورك الجبَّار في ذاتي كفيلًا بنقش السّطور نقشًا لا يمحوه الزَّمن مهما جنّ جنون الرّيح، واستشاطت البحار غضبًا، وأبى الغيم الدَّاكن إلَّا أن يخفي مضاحك العشب الأخضر عن عيون المها السّارحة.

هنا فقط وفي حضن الكلمات الدّافئ أجدكِ بكلّيتك لم ينقص البعد منك خليّة واحدة، ولم يخف عن عيني قبلة العنبر في خدّيك المشرفة على وجودي كنقطة الغيم المشرفة على الوجود الدّنيويّ فوق صفحة البدر.

لا، بل أنتِ كلك هنا... فتلك هي راحة يدك تخبئينني فيها عن شواظ النّظر الحاسد، وهذا هو شعركِ الطائش يجريني خلفه في جميع الجهات، وكم أتعبني لهثًا، وكم أتعبته شوقًا إلى قسمات وجهي الرَّاقد فوق صفاحها رقدة الطّفل في خدر الأمومة الرَّاضي.

الاحورار النَّجدي

لله كم يقتلني الاحورار النّجدي، وكم يرخص في عيني سوابق المها شاردات شرود جفلة، صادرات عن الغدير وقد تركنه بعد أن تربع في موق منهنّ كلوحة البحر أكسب الفضاء زرقته الجميلة... وأيّ احورار كانشقاق الطّرف على نسق يشتهيه، وهندسة نسجت رسم العيون وفق مخطط السّحر الاحوراري الأخّاذ.

وأنتِ مَن حيّرني فيكِ الجمع بين سواد المقلة وسط بياض يكاد يجمل في تقابله معه قصّة العيون الخاطفة بين مغازلة رمشيكِ لفتور ناظريكِ؛ كلّما رفع الرّمش مظلّته أعادها على طرف فاتر النّظرة من وهج الشّوق، بل من وهج الحسن الخلّاب القويّ في إطار من ضعف. ولم يصافح ناظراكِ ناظريّ حتّى يتركاني حبيبكِ رغم وفرة حسّادي، وسقيمك بين كثرة من عوّادي... وما أنا بمَن يطيق منك قوّة نجدٍ في تسلّطها الاحواريّ، وما بيني وبين نجد تشتط المفاوز،

وتتّسع أنطقة المسافات، ولا أجدني إلّا من ابتلاء إلى آخر حكم به عليّ مزاركِ البعيد، وأسلاك عليها حرّاس يقظة عيونهم يا أميرة القصر خلف هاتيكِ الموانع.

أقول: هل أدرك هذا الجمع مساس الشّوق من أكبادنا قبل مساس الأسلاك لأناملنا، حينئذٍ، وساعتها ربَّما وقف على حقيقة الحبّ النَّامي بعدًا عن سقيا ذراعينا له يا حبيبتي.

خضرة اسمك

أصبحتُ اليوم أستدعي من خضرة اسمك جميع مفاتن الاخضرار، وأنحني بكلّيّتي على مبسمه الرّبيعيّ مقبّلًا، حتّى إنّني ثملتُ من ريّ رضابه وهو يتدفّق من جوانب شفتيّ، ويتفتّق عن صيرورة الرّضاب عسيلات اللمى الصّباحيّة الباسمة.

اعذريني اليوم فإنني عازم على تقعيد قُبلة خضراء كاسمكِ... كقميصكِ... كحروفكِ المنتقعة في خضرة الصَّباح تداعبها أشعتك فتبدو في حالة رقص متموّجة إذا داعبها ذهَب شعاعك، وشافهتها الغرامَ خضرةُ ربيعكِ.

اعذريني يا حبيبتي، ويا ملاكي الأخضر لو أعلنتُ اليوم عن جنّة ظلالك الخضراء عمري الذّاهب، وهل العمر إلّا أنتِ اختصرته لي أشعتك لوحة زانها الوهج، فأطمعها البيان، فكتبت لي أحلى ما قالت دروس الضّحى، وأجمل ما فاهت به صفحات الشّفق...! إنّني لفي

رياضكِ الخضراء ذلك الطّفل الخالي إلّا من عبث الطّفولة، وخربشتها الكافرة بنظم الحياة... طفل يعجبه ما يعجب الطّيور، ويضحكه ما يضحك الفراش الحائم على مدار الفلك بعقد الحريّة البريء من كلّ عقد... طفل - يا حبيبتي - يحزنه ما يحزن عيون لو حُبستْ دون سدٍّ بشريٍّ ظالم بالإنسانيَّة قبل ظلمه بقانون الظّلم...

فدَعي الطِّفل خالدًا في جنّتكِ الخضراء قبل أن تهلكه أحمال التّكليف فينوء عن حملها ظهره الغضّ الهزف... دعيه في عالم الأحلام طفلًا، واتركيه في عالم حبّك حرًّا، وأبيحي له النّوم على ربى صدركِ لينعم بغفوة الخلود الشّاردة به في مجاهيل طفولته، و... و... وأنت أنت، أجلْ أنت يا حياته عذره، وأنتِ جنايته في آن واحد... أحبّك اليوم بمقدار تجدّد الخضرة في عالم خريرك الأخضر!

كُنهي الصَّغير

ترى هل أدركوا معناكِ في حرفي ليقولوا سفهًا ما أشطّه فيك، وما أعمقه، وما أغربه، وما أغمضه!! هل وقفوا يومًا على ساحل بحري المائج بكِ وسفينتي حينها ليس إلّا هذا الحبّ المسكوب بين يديكِ لا من معصرات الغمام، بل من مسحات دمعي المذهب ببريق حسنك فيه.

ماذا أفعل بوجود يقتلني كلّ لحظة حيرة فيكِ، وكيف لي بحياة تشتّتني عدد أنفاس حبّك فيّ! لا الوجود مسعف أنفاسي لألتقطها فرحة، ولا الموت بحاضر ليبدّد حيرتي فيك فأعيشه حياة بك كما عشت الوجود موتًا فيكِ.

حيرني فيكِ كنهي الصّغير وقد سمحت له بخوض غمارك العظيم، وهو الذي إذا ما وقف أمامكِ استجمع قواه الخائرة في إسعاف تلك الحيرة له... فلا عجبَ لو زارني الليل وأنا أتلمّس خيط نور منكِ يهديني إليك فأتمرّد على الليل بنوركِ يا حبيبي.

القبلة المضمّخة

ليس لي أقرب من نفسي أسارها الحديث خاصّة في مثل هذه السَّاعة، لكنّك تتخلّلين ما بيني وبين نفسي بحكم الحبّ، وتلتقم أذناكِ فمي وأنا أتحدَّث في عالم الوجدان أسبق ما يكون الإنصات إذا أسكت الكون حواليه، وألقى السّمع نحو القول مشتاقًا.

لا تنامي الليلة وأنا ساهر لا يهدأ لي فكر، ولا تسكن لي جارحة... وكيف للنّوم أن يهزم طيفي السّاهر ملء جفنيكِ يا حبيبتي!! أم هو النّوم... ذلك المتسلّط قسرًا على ليل العاشقين لا يستطيعون مع توافد جيوشه إخماد شواظ الحضور وهم بين متأوّه وشاكٍ، ومتهالك وباكٍ، يرحمون الليل من رجع أنينهم، ويأسون على النّهار أن تطلع شمسه مغموسة في دماء دموعهم، وهم في استنفار الظّعين لا يعترفون بالأرض لهم مقرًّا، ولا السّماء لهم مفرًّا...

حبيبتي أيّتها الرّاقدة بعد أن طبعت على صفحة الماء قبلة الليل تخجل اللجين أن يمسّ منها موضع شفة، فإذا انهمر الماء غار سيلانه، وبقيت القبلة مضمّخة بعطر الليل... بدمع الليل... بأحلام الليل يا حبيبتي.

مساؤكِ مفعمٌ بفيض قلمك

مساؤكِ مفعم بفيض قلمكِ، وقلمكِ لايزال من قلبكِ عليه سلطان، سلطان الإمداد الرّوحانيّ... سلطان الآمر النَّاهي، وأنت تكتبين أتابعكِ، بل أستشرفكِ من البعد الذي ارتضيته لي كحائم الطّير أنّى لاحَ له موطن سربه الأوَّل رقبهم من بعد، وبكى يوم كسر جناحه عن التّحليق إليهم.

وأنت سربي كلّهم، وناسي جميعهم، وأهلي قريبهم وبعيدهم... لا أشتاقكِ حتّى أجمع لفلسفة الشّوق مسلمات، ودواعي حفظ الرّحم، وصلتها، فأراكِ رحمًا خاضعة في سبيل تأصيلها جميع روابط الأرحام من دم، ونسب، ومصالح... وأعتقد أنَّ ذاك هو الفارق بين صدق هذا الأمر، ومجرّد ادعائه ادعاءً، فإنّ لصلة الأرواح ما لا دخل له بألاعيب بني آدم اليوم الغارقة في التّسميات غرقها في أكاذيب التّمثيل إذ يفصّل الحدث حسب جدّه، وهزله، وهو حدث مختلق تديره أنامل العابثين بذمم الأمّة، ومستحفظاتها.

وقد أكون أكثر وضوحًا معكِ عندما أدين قلمكِ غلبة قشعريرة المبادئ عليه، وكأنّما حُمّل مسئوليّة هداية البشر، وتصحيح مساراتهم... مع أنّكِ حينما تسلطنينَ الحرف بإشارات الرّوح، وسكرها تعلنين عن ملكة أدبيّة تأنف المحاكاة، وترفض المشابهة، وما عرفته عن قلمكِ عرفته عن قرب قبل إعلان النّفي الظّالم، وخبرته، فألفته، فعشقته، فارتكبت في حقّ ذاتي أشنع الجرائم بسببي معه...

من علّم ذراعي تطويق جيدكِ ساعة انهيار حائط المنع بين شفتينا؟؟ وما بعد التّطويق إلّا التّسليم الكامل لسلطان الهوى وهو يحكم أسيريْه حكم جبّار لا يسمح بتدخّل الغرباء بينهما حتّى يصيّرَهما عصاةً على واقع التعدّديَّة المزعجة، وجبابرة على واقع اللقاء الخاطف الشَّحيح القليل في دنيا الغرام يا حبيبتي.

قلت لكِ حينها لا تسألي عن شيء من مفاجآت الهوى بيننا يا حبيبتي، فإنَّ حياة الحبّ بيننا تحمل كلّ لحظة مفاجأة، وتخلق فينا من شبق الشّوق كلّ ساعة جديدَ شوقٍ، وجديد لهفة، بل جديد عهد من عهود القبل... وهل للقبلة عهد؟؟

نعم... إنّ للقبلة حينما تشبك طرفي شفتينا عهدَ مزاوجة لا تفكّه قواطع المنع في الحياة مهما قوي بأس العذل، وزاد شموخ الحسد... ومهما حاول البعد أن يفرض على شفتينا قوانين الفتور، وأحكام الكسل... إنّنا لا نحرّك قُبلة بل نشعلها، ولا نختم عناقًا بل نبتديه، ولا نستشير عاقلًا في حكم التصاق أكبادنا بل نعتمّد الجنون منهجًا بيننا حتّى تصير الأكباد السّاخنة من الشّوق كبدًا واحدة لا انفصام بينها وبين ذاتها.

الرَّشاقة بين الخلق والخُلق

أنتِ مَن علَّمهم رشاقة الخلق فوق رشاقة الخلقة، وأنتِ مَن دلهم إلى أنّ الأنثى لا ترتفع بطول كعب حذائها، ولا تجمل بشدّ وسطها، ولا تستحسن في النّاظر بكثرة الألوان التي تغيب في سبيل تجميلها أكثر جمالها... إنّما هي الأنثى الهادئة حكمًا، والمكتظّة حلمًا، والرّائدة تصرّفًا لا تُعاب سرًّا ولا جهرًا... تلك التي ترى في السّتر حقيقة التّميّز ظهورًا، وترى في الحلم حقيقة التّميّز تفكيرًا، وترى في التعقّل حقيقة الحكم على الآخرين درسًا، وموعظة بليغة.

أنتِ أجمل النِّساء في ناظري... لأنّكِ بعيدة عن مماسة السّوى ترفّعًا، وتعاليًا... ومتى ما بعدت المرأة عن مماحكة الأقران كانت إلى خلق عالمها الخاص بها أقرب سبيلًا، وهي بذلك كالجافي مواطن

الازدحام ليتّخذ في بعده لذاته برجًا لا يصيبه صخب الضّجيج، ولا تمسّه يد البعيد أو القريب.

أنتِ امرأة وجدت فيها أشجع ما عند الرّجولة من شجاعة، وأودع ما عند الأنوثة من رقّة يعلوها وقار، وحياء... رأيتكِ لا تبلين يدكِ من ماء حتّى تعلمي كدورته من صفائه، ولا تقتربين من نار حتّى تخمدي جذوتها ببلّة ريق منك... هي حلمك، وعدالة خلقك.

وما ذكرت الشّجرة العالية يومًا إلّا وذكرتك معها... لأنّني وجدتكِ هناك في ارتفاعها، ووجدتكِ عندما تذوقتك في طيب ثمرها، ووجدتكِ عندما خبرت عقلكِ في رزانة، وثبات جذعها، فصرفت النّظر عنها لأتملّى فيكِ شجر العالم كلّه باسقًا في كلّ معنى من معانيكِ.

وأنتِ معي...

وأنتِ معي لا تهمّني الدُّنيا متى أقبلت، ومتى أدبرت... وليس إرجاف الحاقدين من حولي سوى طنين ذباب أُكبر نفسي كثيرًا أن تلتفت إليه؛ لأنّ الذّباب مهما جنح، وحلّق، لن يصبح يومًا من جملة الصّقور الجارحة، ولا من زمرة البلابل الجميلة المغرّدة، إنّه استنفار قذر يأخذ في جملته سربًا، ويعود بسرب لا يعدو كونه ذبابًا.

وأنتِ معي لا أحسّ - وحياتك الغالية - بوخز البعوض الحقير؛ لأنّ وخزه لا يصيب إلّا ظاهر الجلد، والجلد من تراب، وتبقى الرُّوح الشَّامخة شامخة لا يضيرها تكدّس البعوض من كلّ جانب على جلد من تراب لا تقيم له حقائق التّمييز وزنًا.

وأنتِ معي... ما الذي ينقصني؟؟ وما الذي يتعبني؟؟ وما ذاكَ الذي له مثقال ذرّة من قيمة يمكن يومًا من الأيّام أن أتوجّه إليه شاكيًا، أو معاتبًا، أو متضجّرًا؟؟ يكفيني يا حبيبتي أنّكِ معي، وعنّي تسألين، وبي تنشغلين... وما عتابي لكِ إلّا لأنّكِ الرّوح تؤلمني مهما قلّ إيلامها، وتريحني مهما قلّت راحتها... أنتِ معي، فلتسمع الآذان الصّمّاء أنّكِ معي.

طلسم السّحر الحرفي

في حرف اسمكِ سرّي المختوم بطلسم السّحر الحرفيّ لا يقوى على رياضة فكه إلّا من درس أصول المحبَّة، وهيهات هيهات أن يكون لي فيها ندٌّ، أو دعيٌّ... لكأنّ مَن قرأني طوال تلك السّنين وأنا أحرق كلّ يوم ألف شمعة شوق يحسّ لا محالة أنّ هذا حرف في عدالة أدبي هو جميع حروف العربيّة ألبسها لباسًا منها خشية العين، وخشية ظهور طلسمه عيانًا!!

لا تطلبي منّي التَّصريح بجميع حروفك؛ فإنّها من الكفاية ما يغطّي منها حرف واحد مساحات القلوب، كما غطّى أوّل حرف من شمس النّهار مساحات الدّنيا كلّها... وإنّ بينك وبينها ودًّا قديمًا كاد على مرور الأيّام ينقلب حسدًا دفينًا، فلقد ذكرتُكِ في ثنايا أدبي وهي متسلّلة على نافذة داري فلم أدرك عمد دخولها من سهوه، ولم أكترث بسهو ندائها من عمده، فعلمت الشّمس أنّها منكِ لي كخانة الاحتياط

لو غبتِ عنّي ربّما استغثت بها، وهيهات هيهات غيابكِ عنّي يا نوّارة قلبي في دامس الظّلمات.

نوّارتي أنتِ وجذوة الشّمس لا كانت ولا اتّقدتْ، ومعشوقتي أنتِ ووجه الشَّمس منسوخ الحسن... منسوخ النّور... منسوخ الاسم مهما اشتركتِ معها في قانون التّسمية يا حبيبتي... فتلطّفي عليّ من مناشدتي الشّمس أن تغيّر اسمها اليوم لأنّ ما كان منكِ لائقًا لا يكون منها مهما ترافعت عنها شواطئ الأفلاك في جرمها الشّركي مع اسمكِ الغالي.

ما يشبهك من الصّباح

كم تتعبني أيُّها الصَّباح في تدفّق بياضك باكرًا وفيكِ منها لطف طالما عشقته، وبياض صبوح طالما تمليّته، ونعومة حريريّة الملمس طالما فاضت على يدي وهي تحتضن يدها، ونداوة مسكيّة الشّذا طالما عنونت شفتيها أمامي فقبّلتها.

ترفق أيُّها الصَّباح بنا فما غازلت شمسك الوجود إلّا وهي في الشَّمس ذلك الوهج القادم من عالم العشق إليّ لكأنّما تطمئنّ على مملكتها مع أنّها على العرش وما دونها خدم وحشم.

حبيبها أنا أيُّها الصّباح، فمالك ترسم صورتها في وجنة طلعتك كلّ يوم كأنّها واحدة من جملة خيوط النّور الإعجازيَّة في أجندة طلعتك...

حبّي المتفرّد

لو أعلم أنّني أحببتكِ حبًّا سبقني إليه غيري لاستبدلتُ قلبي بقلب يقدّر حبّكِ حقَّ قدره، فما أنا إلّا بكر فتح عينيه على أوَّل خربشة عبثت بها أنامله تقول: أحبّك.

وهل يستبدل القلب بغيره؟ سؤال لا جواب له يثبته إلّا حالة امتزاجي بك والموعد ذلك المصير المرتبط بك حلًّا، وارتحالًا.

هكذا، وبهذا الشّرح كنت أبدأ تعليل تعلّقي بكِ لأصحابي، لا أتجاوز في كشف الغطاء عنك الكلمة الأولى بيننا ونحن مازلنا نرضع الرّشفة الأولى من الحبّ، وهل كنّا حينها نعلم عن الحياة عقدها، ونواميسها إلّا أنّها دار خلقت لأرجلنا ساعة تلطخ وحْل، أو لأيدينا ساعة عجن تراب، أو لأبداننا عمومًا ساعة عيش الحياة بجميع ألوانها مقسومة على اثنين كذّب الحبّ ثنائيتهما فكانا واحدًا حبًّا، وعشقًا، وتتيمًا.

لا يا حبيبتي... ما ذاق غيرنا طعم الحياة، ولا عرف لها لذّة سوى أنّها كيان محموم بحمّى الجري اللاهث خلف مسبّبات الموت... أمّا نحنُ، فنحن شمعة ليلها يهب النّسيم عليها ليزيدها اشتعالًا، ويذرف المطر عليها دمعه ليذكّي شرارة حياتها... ونحن يا حبيبتي ربيعها، نحن خضرتها، وعناد بهجتها، ونحن كذبة تعاستها لا تلحقنا منها دعايات العجزة، ولا نفاق المتخاذلين!

راعية أشعاري

ينبثق الأدب عادة متفجّرًا من بين حنايا صخور النّفس الشّاعرة تفجر العين النّافرة الزّاخرة. ومن الماء ما يشقّ الصّخر، ومن الأدب ما يشقّ حجب الاستحالة ليبرز الجانب الإنسانيّ متجبّرًا متحدّيًا جبروت الكون. أهو بركان ثائر ينبئ عن مكنون غاضب، أم هو لمسة ناعمة تأتي متوافقة مع بسمة طفل صغير لا تعرف فلسفة وجوده غير الدّعة في كلّ شيء! هو كذلك الأدب لا يُحكم، ولا يبرم، ولا يرسم ولا يقترح عليه ما ليس له، ولا تشوّقه المعامل بكثرة آلاتها، ولا يروقه زخم التّفنّن الكسبي على كثرة روّاده.

لا أعجب أبدًا أن تستوقفك حروفي التي علاها الغبار فترة من الزّمن فغيب ملامح شبابها وصباها إلى أشبه بعجوز خضبت الأيّام ملامحها لتكمل بذلك عمل السّن والهرم...

لا عجب لأنّك - كما عرفتكِ - لا يضيركِ شيءٌ ما يضيرك ركود الماء وغياب الرّياح عن هدوء الكون، وهنا غياب الدّورة الدّمويّة

المتجدّدة في شرايين الأدب... إنّه الجانب الوهبي التّلقائيّ للأديب العابث برتابة النّسق المتصنّع، الخارج عن ضوابط الصّنعة إذا جفّ في تربتها بلل الموهبة الثري.

من هنا ومن نبض تجاوبت معه حواسك الشّاعرة الرّاقية لتبرزيه رغم أرتال الغياب أقول لكِ هنيئًا لنا أن يكون بيننا هذا الحسّ المنطلق بشجاعة في وجه السّدود!

وأخيرًا لا قدر يعلو على قدر يهبه لي حرفك، وأنت تمرّين على روضتي هنا كديمة حاقنة حتّى إذا مرّت همت بما فيها، لكأنّك وأنتِ على مشارف حرفي تستجمعين خيوط الشّمس إكليلًا، وضحضاح القمر قنديلًا، ومسارح الأنداء ظلًّا ظليلًا... فما أمتع النّفس هنا...

إذا حكم القدر

إذا حكم القدر ألا تصل يدي إلى جنّة يدكِ، فاكتبيني الليلة عهدًا يكبر على الزّمان نقضه، ويعظم على الظّروف مهما كانت غدرُه... وضعي حروفي النّاطقة بهيامي بكِ تحت رأسكِ، فوق رمشكِ، تحت جفنكِ، واجمعيها بين نحركِ وصدركِ، تستهدي بمعالم صدرك النّافرة إلى محضن قلبك الوفير...

ما أحلاكِ وأنتِ تسرقين منّي فكرة الليل وأنسه، لتعلّقيها على صدركِ موشومة بي... بي أنا... ومعتوهة بي، بي أنا... وأنا هناك يطمئنني أنّني أينما اتّجهت بي سفينة القلم لم أغادر بحر عينيكِ.

ما ألطفكِ وأنتِ تمسحين عن وجهي رشح الشّوق الليليّ بشرح عشقكِ الليليّ... وتتنهّدين فأفيق، وتتأوّهين فأسكر... ثمّ تهمسين فأفيق، فتتمايلين فأسكر، وما من سكرة تشبع الفكر ثمالة كارتوائي من جنون رضابك العاصف به شوق الشّبق من سعار الوجد... آماد العمر تنتهي ولا ينتهي حبّكِ.

لسكر الليل خاصيّة التّعمّق ! !

كلّما انتصف الليل

كلّما انتصف الليل تحرَّكت بي أمواج عشقي إليكِ، وكأنّنا على موعد مع العناق يختال فوق جمر من شوق القلوب المتلاحمة.

هل جرّبتِ مناجاة الليل عبر زفير الأنفاس المتلاحمة؟؟ هو سرٌّ لا تكشفه سوى وسادة عاشقين لا ينام أحدهما إلّا على همس الآخر، ولا يعرف أحدهما معنى الليل إلّا في صدر أمان الآخر.

هو الليل يا حبيبتي هو الليل... يتقاسم في ساعاته تزاوج اسمينا، فيجعل منهما شيئًا واحدًا يحاكي بذلك عناقنا الصّائر في حقيقته شيئًا واحدًا، لا هو بالإنس ولا هو بالجنّ... إنّه خلقة تحيا بالحبّ وتموت به.

تعالي ولا تباعدي بيننا ووسادة الليل تتلاشى تحت رأسينا لأنّنا تعاهدنا على محو الفواصل من هامة الرَّأس إلى أخمص القدمين...

مساء يغريني بمناجاتكِ

مساء يغريني بمناجاتكِ، مساء مسفر الطّلعة بهي الوضاءة يغشاك عدد ما تغرد حروفي فوق قناديل مملكتك...

وصباح أقبلت طيوره اليوم حاملة فوق أجنحتها رسالتك الغالية... وكم تغريني رسائلك أن ألتمس منكِ القرب أكثر، أن أقرأ في كلماتها ما أخفى البعد المقيت عنك فوق ما أظهر... يا واحدة توزّع حبّها في مفاصلي متعدّد الطّعوم لكلّ مفصل طعمه المعسول منك. وتوزّع بالتّالي الأمل فوق تصحّر يأسي أن أراها يومًا فأسمعها فأتملّاها فأحياها حقيقة ينعدم ظلّها ساعة التصاق مزجي كمزج جزيئات الماء لو انفصلت فلا ماء.. وأنتِ الماء الجاري في بساتين أشعاري يرويها حتّى إذا ما اخضرّتْ وأينعتْ حلقتِ في أجوائها المخمليَّة تعصف بكِ ريح الشّباب في طيّ جنونها العاتي المارق من ربقة التّأنّي والهدوء... وأنا لا أحبّكِ إلّا عاصفة، ولا أعرفكِ إلّا طوفان جنون تتحطّم العقول على أعتابه شأن الحبّ في بواكيره يتمرّد على الحياة إعصارًا، ليتجلّى بين العاشقَين ساعة اللقاء سدًّا انفجرت حصاة مائه فأغرق كلَّ ما في مقرّه وممرّه.

يا ليل زِدْ من همهمتك

يا ليل زِد من همهمتك الموحشة، ثمّ أغرقني في لجج الخوف لأخلد مسرعًا في حضنها الوفير كلّ خطوة إليها تنقطع أنفاسها قبل عناق الخطوة التّالية... واحشرني في إهابك السّاكن سكون اسمها في نقيع دمي، احشرني وحيدًا حتّى تخاطبني راحة يدها وأنا بين حنايا أضلاعها أعبر عن وحشتك وحيدًا يا ليل السّكون.

يا ليل زِدْ مسامعي سكونًا هادئًا لأزداد وأنا عندها حركة جنونيَّة صاخبة النّداء، ثائرة الحفيظة، فإنّي أتوق إلى حداثة الأطفال في حجرها وهي تسكب ساعتها على مثارات صبوتي كلّ ما لديها من حبٍّ ناعم الملمس، حتّى إذا ما استوينا على مسار التّبادل العشقيّ الليليّ خاطبتني: أي نجوم الدّلال أسقطها الآن في محاجر عينيك يا طفلي البكر المدلّل!

نسيت على صدري دموعَ الوفاءِ

تعالي فقد نسيتِ على صدري دموعَ الوفاءِ تعذّبني لأنّ كحل عينيكِ خالطها فعذّبتني فوق ما بي، وذكرتني بك ونشيج صوتك يقطعها أشلاء على منصّة النّزف الحزينة.

واستبقِ للوراء خطوة لأنّ ها هنا من ريح طيبك ما ضمّخ صفحتي وجهي فعذّبني لأنّه رمزك به تعرفين عندما تضيع في عبيره روحي الولهى.

وعودي قليلًا فإنّ موجات صوتك ما أعتقت مسمعي من حينها لحظة واحدة إلّا وقالت إنّها هنا... إنّها بين أطياف الليل القادم قيثارة السّهر، وترنيمة القمر.

تعالي فهذه الليلة بالذّات لم يغب عني فيها منكِ شيء يا حبيبتي، فحنانك، ولطفك هو هو يلفني حاضنًا نفسي المتعبة المنهكة، وبرد قربك هو هو يعانق شبابي المكتهل في ليلة غائبة حاضرة أنت فيها.

يا الله لو أنَّ الليالي اختزلت فناء لم يسعها إلّا ظلام هذه الليلة؛ لأنّه لا يبقي لذي روح روحًا، ولا لذات أنس أنسًا... ولو أنّ لطول الليالي امتدادًا فوق عهد الليالي لمّا أوغل في الطّول كشأن هذه الليلة الطويلة جدًّا جدًّا، فمتى سيدرك الصّبح ملاحقة قسوة الليل لبراءة وضوحه!!!

ليلة البارحة

ليلة البارحة... ولأوَّل مرّة يبلج الوجود عن لقائنا المنتظر، وأنا على مشارف الرَّحيل القاسي... تقبلين عليّ وفي جيوب الليل حوالينا آهات طالما حرَّكها الشّوق، وأرسى فوق شواطئها جسدينا النّاحلين من الشّوق، وآه من شوق المحبّ إذا فترت ناره لتبدأ طورًا جديدًا في حياته، وقد لا تفتر إلّا بامتثال إحدى الحسنيين.

يا ملاكي السَّاهر على سهد جفني ليلة البارحة، ويا أنتِ يا كلّ النّساء أشرفن على حدائق الجمال الكونيّ فغرسن نباته، وأجرين أنهاره، وفجّرن أنوار بدره، وأنا الصّامت النّاطق أمامك ليلة البارحة صمت الأماني، ونطق التّدلّل... أحبّك من مبدأ الآهات ليلة البارحة حتّى آخر زفرة شوق وليس للحبّ من آخر!!!

يا ملاكي السَّاهر بين صمتي، وبوحي... خبريني كم طوت ليلة البارحة بيننا من مفاوز الآهات حتّى طلع الصّبح وأحدنا يمسك

شمس النّهار في يده، والآخر يطوّعها جنّة في عين محبوبه... آه كم أحبّك!!!

يا ملاك ليلة البارحة لأوّل مرّة أدرك كنْه قصائدي المجنونة بكِ، الشَّاذّة عن رسم الأشعار بسببك... قصائد صيغت من خطيئة حبّنا النَّافر عن حقائق الوجود... حاكتها أناملي على مقاسات دروب الغواية السَّائرة فيها، بحيث لا تسترشد بنصح، ولا يتأتّى منها استقامة ورشد لأنَّها بحبّك وحدكِ اكتسبت صفة التّفرّد يا واحدة لا شبيه لها إلّا التماس الجمال موضع قدم بجانبها.

ضمّنا الليل

وضمّنا الليل، فنادانا الغسق، وأقسمت أن تراكِ الليلة منّي جميع العيون، فأنتِ الليلة على جمال مختلف، جمال تزيده لهفة الشّوق توهّجًا، وتوقّدًا، وأنا أمشي إليه لأصطلي بنار توهّجه، أنا قادم من بعيد يا حبيبتي، مروّع الحشا لا يسكنني إلّا مسحة حنانك والليل صديق العشّاق، شاهد على مهج تحترق في بريق الدّمعة.

ماذا أقول لكِ الليلة يا حبيبتي؟؟ وها أنتِ أمامي يكذب ناظري فيك جميع الظّنون، ويعصي العواذل وأهل الحسد والحقد الدّفين... أنتِ أمامي تقذف بكِ أنوثتكِ الصّرفة على مراحل... ففي المرحلة الأولى ترسمكِ في عيني ضيفًا ملائكيًّا يحلّ على العالم الأرضيّ في أوّل ليلة بعد طول غياب...

وفي المرحلة الثّانية تستخفّ بكِ عصارة الشّباب فتقرّبك منّي كقاب قوسين لأقرأ عن قرب فلسفة تمرّد الشّفق على حمرة الخدّين بصولته القانية.

وفي المرحلة الثّالثة تكتبني الليلة في سواد عينيكِ، فتطبقين عليّ بين مهد وفير، ونفَس أثير... حتّى إذا ما صحوت من سكرة اللقاء كتبني القدر ثانية في سواد عينيكِ بحروف يتحدّى مدادها جميع حدود الفناء.

بالأمسِ التقينا

بالأمس التقينا، وعلى مدى الليل المبهم استعرضنا معًا مفهوم الإحساس الجائش بين الاثنين إذا عانق مفهوم المعرفة الوهبيّة بينهما، وهي معرفة لا تضبطها صمامات التّحفز، ولا تتحكّم بها مفاتيح الاستعداد المسبق، لقد جاءت كنجمة طائشة مستفزّة مجموع النّجوم لتفرض وجودها بينهنّ واحدة في مجموع، ومجموعًا في فرد... وحينما التقينا ألقيت السّمع بجميع حيثيَّاته إلى شرح لها عن واقع ما ينتابها عندما تلامس مشافر عينيها حروفي قراءةً، وتدبّرًا، وهي الأديبة العنيدة علمًا عناد الواثق من ذاته لا يرضى لها بالدّونيَّة، ولا يسومها رفدًا منقطعًا والأرض تعجّ بما به تعجّ من أسماء الأدب ولا مسمّيات.

وقالت بلسان واحد، وحرف واحدٍ، بمعنى واحد، وإحساس واحد: ليس في كلماتك أيّهَا الأديب ساعة ما أتلقّاها يانعةً ما هو بحاجة إلى مهضم معرفي يسهل على الفكر استيعابها، وعلى الشّعور قبولها... إنّها مزيج مترف من دم، ولحم، ومسحة روح يعطي في

النّهاية لمجموع ذلك معنى الذّات العاشقة بكمِّ الإمكانات المتاحة في خزينتي الرّوح، والجسد، بحيث لو أراد المشكّك أن يجد ثغرة بين حروفك خالية من معنى الأساسين الإنسانيين ما وجدها، بل ربَّما أعياه فهم الطّوق الكمالي لتلك الكلمات الرّوحيّة الجسديّة على السّواء.

لقد أغرقتني كلماتك في بحر من الشّعور المفرط ، ذلك الشّعور الأحادي نسبة، الجميل تشكلًا، اللذيذ طعمًا، الجبّار هيمنة على بوّابات قلبي المجنون بحروفك.

كانت تلك هي القراءة الأولى في تقريرها أيُّها الأديب، فهلا علمتني أسس القراءة الثّانية لها وأنا في رواقها المقدّس بين يديها، وعندي منها وإليها الكثير... وعلى مصطبة اللقاء: أنا، وأنت، والليل الصّديق!!

ما لليل يصمت بنجوانا!

ما لليل يا حبيبتي يصمت بنجوانا كلّما قلنا له: تحدثْ، قال: ليس بعد! وهل لمثلنا من"بعد" يرحل الحديث إليها بزمنها... بمكانها؟ لكنّها تعويذة الليل خشية أن تصيبنا العين ونحن بين أحضان المنى نركل الدّنيا بأقدامنا، ونعلن حريّة الالتصاق لأكبادنا.

والليل هو الليل تحت غطاء الحبّ لا يضمّ بتشابك الأضلاع تحت غطائه إلّا حبيبين أولعا بالهرب لتزداد سرعة حضنهما لبعض ساعة غطاء... وأولعا بالغطاء لتحلو فرصة التّفرّد بينهما كلّما قال القلب للقلب: هل تسمعني من خلف الأضلاع يا أنا؟؟

لا... لا تنامي يا حبيبتي قبل أن أغري بفرع شعرك سواد الليل حيث استنشاق اللون، ورؤية عطر الكفّين، وتذوق اللون، والرّائحة بعد أن أسدى الحبّ لجناب الليل على رواء الصّدر شكرًا.

أثر القبل الليليّة

لا تعجبي من رائحة فمي على الصّباح وهي تشرح أفاعيل المسك لذوي الألباب المفقودة من الصّباح الباكر... فما ذاك إلّا أثر القُبل الليليّة، باتتْ تثعب بها شفتاك على موارد فمي، كلّما طفت بكعبة جمالك عطشتْ دواخلي السّاخنة فرشفتُ من بواطن شفتيكِ ما يعينني على التّطواف أكثر فأكثر.

باللهِ عليكِ مَن علّم فمي تتبّع رعي الورد على وجنتيكِ؟ وكيف لي بتعليمه التّؤدة في الرّعي فقد ألفيته متذرّعًا بالنّهم ساعة القطاف الأولى... حتّى إنّي تعجبت من طغيان حمرة الدّم بجراحه في شفتي، ولم أدرك إلّا اليوم أنّ تلك هي أفاعيل الشّوك تختبرين بها سكري لدى إطلاق القبل، ممّا جعلني أرعى شوك الورد قبل وَرده... وأقطف لون الورد قبل حقيقة ورده، وأعشق صورة الورد قبل رؤية ورده...

لا تقولي اختلفنا !

تمنيت ليلتنا تلك لو أنّ الليل طالَ بنا وليس لليل آخر، فما الحدود الزّمنيّة إلّا تنغيص العشّاق عن متابعة سهرهم، واستئناف واردات قبلهم، وتنكيد يحيل حياتهم انتظارًا لليل بعد ليل، وما أشدّ ساعات الانتظار لدى مَن خبر قسوتها في ترقّب طلعة محبوبه وهو يوشكه اللقاء، ويعده ضمّة الخافق إذا ما سجى الليل كبردة غطّتْ أقدامهما لئلا تصاب ببرد السّكون القاتل.

كنت لي ليلة البارحة وريثة الدّلال كلّه، تهبينه روحي ما شاء، وكيف شاء لك الثّقل، وتمنعينه متى ما حاق بي الضّجر، ولا ضجر بي عليكِ سوى ترقّب انخراط قبلتك وهي تتداعى بين غنج اللهفة، وثقل التشفّي... وفي عينيك يبرق تاريخ الولع التلهّفي كمحموم يستمطر شفاءه، وبينه وبينه شبر واحد، لو حرّكه بأنفاسه لما صمد أمام أولى زفرات التأوّه.

لا تقولي اختلفنا! فنحن مَن اشترط للحبّ حياة الاتفاق، ولو فتّشت الخليقة في جيوبنا الليلة ما وجدت ما يعده النّاس اختلافًا، ومَن قال لك: إنّني أميّز فيك شيئًا عن شيء، فما أعجبني منك أحببته، وما توارى عن إعجابي قليته...!! إنّك مشكاة وجودي لا أصدر إلّا عن كليّتها متنفسًا أسباب مسايرة الوجود.

يا أيّتها السّاهرة ليلة البارحة ما بين بوحي، ونوحي... أين واراك النّهار؟؟ وهل رضي النّهار بسجلّ عناقنا الليليّ؟ أم أنّ شمسه غارت من شمسي فأخفت ما غاب عن عينيها، وسطع في خلد حشاي مقاومًا شموس الأرض كلّها...!! عودي ثانية، وتفنّني الليلة الآتية في رسمي من جديد على صفاح شفتيك، حتّى ألمس منهما حظّي الغائب من آلاف السّنين.

سامحَ اللهُ ليلة البارحة

سامحَ اللهُ ليلة البارحة كم تفنّنت في قتلي وعلى مرأى منكِ تمضين بالسّكين كلّ دقيقة في موضع من جسدي المضنى المتهاوي على ضعفه من الشّوق وخليط الغيرة المدمّر.

حاشا لغيرة كغيرتي عليكِ أن يكون منها لبشر نصيب، غيرة شاذّة عن قوام التّعقّل، نابية عن اعتدال الطبيعة البشريّة، غيرة تركتني بالأمس مع نارها ومضيت، ثمّ نمت وأنا بينك وبين حبّك النّاريّ أصانع النّوم فلا يزور إلّا شامتًا بحالي، وأصارع الليل فلا ينطق إلّا عاتبا لائمًا، وفيكِ ومنكِ ومن غيرتي الملعونة عليكِ أناشد ساعات الليل أن تمضي لأرى مع خيوط الصّبح أولى ملامح الفرج، وبنيات الخلاص من ليل هيمنت عليّ فيه قسوتك، ثمّ صار مجموعًا من ليل موحش وغيرة قاتلة نافذة وبعد كلّما قلت له اقترب قال لي عنّي ابتعد.

لسكر الليل خاصيّة التّعمّق

ولسكر الليل خاصيّة التّعمّق في ذات مَن أهوى، وكيف لا أتعمّق في حبّها ليلًا وقد أفردنا الليل بعدما غابت الأنظار، وجفّ خفق الخطى فأصغينا لبعضنا وبين نداء الرّوح والرّوح يتعملق الحبّ ويتفرعن سلطانًا بلا منازع، وجبّارًا بلا مبارز.

كم أعشق أن أسقيك بيدي خمرة الليل الدّاكنة لأفقدك التّوازن في عيني فإذا بكِ تتمايلين من وقع طلقات حبّي كطير اختلط في عينيه الفضاء ومدارج التّعفر التّرابيّ فأسلم القياد لسربه يوجّهه حيثما شاء.

وأنا سربك المجموع في واحد، المقتول بواحد هو سواد مقلتيكِ والليل معه يشكّلان بحري المخيف ولا أمان إلّا رحابة صدرك تؤمنني من ليل في ليل، وبحر في بحر.

وحينما يشتدّ السّكر بك بعد ثمالة الوجد سترين أنّه ما أحلانا نعيش حبّنا الصّامت بلا عقل، بل كلّما فرض التّعقل علينا أمرًا تمرّدنا عليه بسكر الليل تحت مظلّة رمشك الآمن يا حبيبتي.

سلامًا على ضحكات الليل

سلامًا على ضحكات الليل المفرقعة في أجواء المطر، وبين ذراعي وشباك أضلعي تحضنني يدكِ الصَّغيرة الغضَّة كلّما أسكرها حضني، وغيبها في جنون العواصف الرَّعديَّة دفء خافقي، وشهيق شوقي. سلامًا على آخر الزّفرات بيننا، وسلامًا على آخر همسنا، وسلامًا على ماضينا كلّه كيف أبى إلّا أن يخلد ماضيًا بلا حاضر، كما مضينا في دروبه كلّها، وسهرنا لياليه كلّها، وطفنا أجواءه كلّها... لكن ضمن واقع لم يرجع سوى خيال كان يومًا واقعًا.

لست أدري يا حبيبتي متى سأضع لقصّتنا الورقيّة نهاية فوق الورق، ووسيلة مداد القلم، وما عسى أن يسترشد ضال في غواية المستحيل مثلي بسبب وبين سبّابته وإبهامه يبكي القلم، ويضجّ من بكائه الورق.

يا نجيّة القمر

يا نجيّة القمر... ها أنا أترك الدّنيا بما حوتْ في شرود شارد، وهروب حالم، أقف أمام قرصه المستدير، وهالته النّاعسة، وبريقه اليقظ، تردّني إليه ذكريات الصّبا اللاهية العابثة، وتلقي بي في محضن نوره هواجس الإلهام المستفزّة، لقد حلا القمر الليلة فما أشبعتُ من حلاه نهمي، وتكوّر في ناظري يحاكي وجه محبوبتي مرسلًا قسمات الحياة واحدة تلو الأخرى... استدار فعاتب، واستدار ثانية فرحم من وقع العتاب ولذعه، واستدار ثالثة فأخذني أخذة سماويَّة عليا فوق مسّ القدم، وحبو الأشباح...

يا نجيّة القمر... أبى الليل إلّا أن يخلق من سواده نهار المحاسن السّاطع في بدره العالي، فأراني كلّ ما مضى، واحتواني في خباء الحاضر، وكاد يخترق بي الحجب إلى عالم الآتي... ومال إلى الماضي بي ليريني كم هي الذّكرى أصيلة متينة الجذر لا تغيبها العوارض مهما داهمت سكونها الأبديّ التّليد... الليلة أراني- يا نجيّة القمر- ذلك الطّفل الصّغير النّحيل العابث بالدّنيا قبل أوان عبثها به، الهائم في مساحات لا أُطُرَ لها إلّا تلك الأسوار التي يبنيها الأطفال حال لعبهم ثمّ يميلون عليها بعوامل الهدم دونما اكتراث للوم أو مساءلة... ألا ما أغربها من دنيا لا تستحقّ منّا إلّا معاملة الأطفال السَّائرة بين بناء وهدم...

إيهٍ يا سراج الملكوت الليليّ، ما أبين ما بين الحياتين، حياة نقلتني إليها وأخرى نقلتك أنا إليها رغم إبائك وعزّتك... بربِّك هل بدّلت الصّروف إهابها؟ أم هل غيّرت الطّارئات ملامحها؟ كلّا فما هي بالعرض السَّريع، ولا الغشاء الواهن الخفيف وإنّما هي أصلي وطفولتي، ومربى أحلامي الصّغيرة...

عجبًا لحالي معكِ وأنت مَنْ نظر إليَّ ساعة لعبي نظرة من قَرَّتْ عينه، وابتهجتْ أساريرُه، وأرسل على تورُّد الشّفتين ابتسامةً قمريّةً علاها وشْيٌ من رضا، ورسمة من إقرار، ولمحة من حبّ، ووخزة من تخوّف... أمّا وشي الرّضا فقرأته من محيّاك سطرًا يعادل براءة طفولتي حينها، إنّه بحجمها، ومن جنسها، ينزل من عليائك – أيّها القمر– إلى حيث أنا فوق بساط من ثرى، وحصباء... وأمّا رسمة الإقرار فأبديتها رسالةَ موافقةٍ جعلتْ من عبثي نظامًا، ومن لعبي ومرحي شريعة معتدلة سيرًا وقوامًا... وأمّا لمحة الحبّ فأرسلتها لي رسولًا قلبيًّا يداعب شغافه لتعلّمني أنّي ورغم صغري ذلك السّرّ الدّفين والمعلّم الأكيد لحقيقة الحياة.

يا نجيّة القمر...

يبدو أنّ السّحر الحلال يطوّق الآن رقبتي إذ يحيطني بهالة القمر البهيّة، فأقف مع نفسي أستعرض البوادي بوادي الحبّ حيث شفافية

الطبيعة البريئة بقمرها البارز فوق قبّتها كنقطة النّون إذ برزت فوق كلمة الكون، وأجوب تلك القفار ومناجاتك للقمر سميري المصاحب، وحميمي الذي يأبى فراقي، وبجانبنا – يا نجيّة القمر– موقد وقهوة، وفناجين حمّرَ الزّعفران مشافرها فبدت ككبد عاشق صيّرها الحبُّ جراحًا...

يا نجيّة القمر... ما هذا؟؟ سألت نفسي وأنا أسكن نبضك ومناجاتك هذا السّؤال... قالت نفسي هذا حديث سرى في أوصاله قانون العهد الأوّل للغة قديمة لا يفهمها إلّا أقمار الأرض من الأدباء وأقمار السّماء أولو الضّوء والسّناء.

وقلت بل ما هذا؟ قالت هذه ترنيمة عاشق عبرالأجواء ليتّخذ من مصافحة القمر أنيسًا وجليسًا.

فقلت بالله عليك فما هذا؟؟ قالت هذا رجع صدى تراتيل الوجود الهائم الحالم، في ساعة هجع الكلّ فيها ليعزف الكون مع نجيّة القمر سيمفونيّة الملأ الأعلى وهي تناجي تلك القوّة وأسرارها في معجزة القمر.

ستظلّ هذه المناجاة الصّادقة محطّة تعترض طريقي كلّما جلست على الأرض رفعتني إلى السّماء.

يا نجيّة القمر...

هذه ليلة من ليالي القمر آثرتُ فيها المضيَّ في قلب الصّحراء الواسعة حيث الهدوء الحالم، والسّكينة المغْضِية على محاور قلبي وميادينه، خرجتُ فيها من مجموع الصّخب البشريّ، والتّلاعب الآدميّ إلى حيثُ رؤية الكون ساعة صفائه واستقراره... وهنا استلقيتُ على مسيل من نقا الصّحراء خاليًا من كلّ شغل، ذاهبًا عن كلّ شيء حتّى عن حديث نفسي مصغيًا معكِ يا نجيّته إلى حديث النّورعلى مرامي الوجدان.

أرسلتُ للقمر هنا نظرةً، حملتْ من معاني الغربة والوحدة ما لو بقَرتِ بطنَ الصّحراء الليلةَ لم تقفي إلّا على أنينِ وحيدٍ فريدٍ غريبٍ ذاك هو أنا . لقد قلتُ له وتكالُبُ الغربة ينهش لحم أنسي، ويفتُّ عظمه فتًّا مستأصلًا، وقلت له حديثًا شابه كدر الوحدة الموحشة الموغلة في الإيحاش.

قلت: أيُّها القمر البعيد علوًّا... أنت هناك تربّعت على قبّة الكون وحيدًا، وأنا هنا طوتني صحراء فضفاضة ضاربة في طيّات الأرض، سقطتُّ على محيطها كذرّة تراب تسمَّرتْ في مكانها فبدتْ في صحرائها غيبًا مجهولًا، وقدرًا مقدورًا... مَن أنا أيُّها الصّديق أمام ماهيّة وحدتك، أنت مهما استفردت بالوحدة، فوحدتك لا تخلو من جليس مؤانس، ولا تمرّ لحظة عليك إلّا وعلى تعامد سناك حبيبان زواهما الزّمن في ناحية من نواحي الحياة يعيشان كلّ يوم صنفًا، فيومًا تراهما طائرين حلَّقَ الزّهو بهما بعيدًا عن مستوى مسّ الأقدام، ويومًا تراهما على الشّاطئ كائنين بحريين خلدا إلى الماء حيثُ روائع القدرة هناك، ويومًا تداعبهما حزمة

ضوئك المتناثرة فيجريان لاهيين مقتنصين لحظة نورك المؤقّتة... هذه هي وحدتك! سمر واجتماع، وأنس لا ينفك عنها... أمّا أنا... فأنا يا صديقي وحدة مطابقة لمسمّاها تسير بها الأقدار من قفر موحش إلى آخر مخيف، ومن زاوية خيّم العنكبوت عليها وعلاها غبار الأيّام لتتحدّر منها شيخوخة الشّباب في أوجّ أيّامه، وحدة سلَّها القدر شعرةً من نسيج الظّلام لتغيب عن ناظري فسحةُ الكون ورئته المتنفّسة، فإذا بي – يا صديقي- شارد الفكر، غريب النّزعة، تستوطنني بقايا ركام من ليالي سحب البؤس عليها بردته البالية العتيقة... قل لي أيُّها القمر، وحدّثني فمازلتُ أراكَ قبل عدد من السّنين ذلك السّمير في وحدة طفل غرّ، رضع سمومها من النّشأة الأولى في حياته... قل لي - لا عدمتك – أين تلك الأحلام؟ أين مزاعم الصّبا الصَّارخة في وجه المستقبل؟ أين ما شيدتُ من رسوم الغد وبنيتُ؟ أين تمتمات الماضي بخيالها وتزويقها، ورتوشها؟ أين الجدول الصّغير المذهَّب وجهه بنورك، بتُّ أنضح ماءه على جوانب المجرى لهوًا ولعبًا، وأنت ترسمه على صفحة الجدران صورة خالدة بخلودك.

أهكذا تعبث الأيّام ببناء الأحلام؟ أهكذا تقبر الآمال الصّغيرة في مهدها وهي زهرة الكون ونضرته؟... لا أيُّها القمر ثمّ لا... ما أنا بباسطٍ بعد اليوم للماضي يدًا سوى ما كان لي معك من صحبة غالية...

يا نجيّة القمر...

عجبتُ هذه المرَّة من إسراره إليَّ وترداده الحديث على مسمعي كمَنْ يحاول رفع ثقلٍ من على الأرض فينوء به حمله، وكمن عهد إلى جسد خاوٍ وأذن موقرة فرجا منهما إصغاءً ولات حين مسمع. ماليَ – يا نجيتَه – كلّما عدوتُ بحرًا استقبلني محيط، وكلّما قتلتُ الفيافي ضَرْبَ مسيرٍ استجدتْ لي عرصُاتها بِكْرًا لم تُسبَرْ، وختْمًا لم يُكْسَرْ!!... مالي، ثمّ مالي الليلة أفجؤُهُ بهذا الذّهول، وأحيّره بهذا الشّرود! وأنا الذي رَسَتْ في ضحوة وجهه أعلامي، وتسربلتْ بفيض نوره أحلامي... مالي ثمّ مالي... ثمّ مالي!!

الليلة أسرَّ فلم يلتفتْ إلّا إلى حدقتيَّ النّافرتين عن مجمع الأنْسِ به، فكان الحديث مؤلمًا مؤلمًا... قال لي مالكَ؟ أهيَ وقفة استراحة بين نبضة وأخرى من نبضات الشّوق الهائم بأهله؟ أم ترى هي مناشدة للقمر من نوع خاص أيّها النّجيّ القسيم؟... ثمّ أسرّ قائلًا: لو علوتَ بالفكرة علوَّ مكاني لاستعلتْ بك الفكرة استعلاء مكانتي، وكم بين المكان والمكانة من وشائج قلَّ ما تلتقي إلّا في نفوس لم تلامس هامتها صعيد التّراب... فهلا أبنتَ لي عن سرِّ هذا الوجوم! وكشفتَ لي استفزازات تلك الهموم!!... فقلتُ: أيّها المستعلي مكانًا المبجّل مكانةً... ما خالج القلب الليلة هم خارج عن حدود وطنيّته، إنّها خلسة التّعرّف على الأوراق الأخيرة في خزانة هذا القلب ولا أخفيك – أيُّها النجيُّ – أنّ قلبًا كقلبي لا يبدّد جماع أمره شيء كنظرة واحدة يفرّقها بين مرحلتي الانقضاء

والمتبقي في مراحل السّير الحثيث، فيرى ومن تلقاء ذاتيّة النّظرة أنّ عمرًا مديدًا مضى والمخلاة فارغة ممّا تمنّى الإنسان وأراد، وتلك ساعة من ساعات النّدم لو أنّ اضطرامها شبّ في حجر لحوّله إلى رماد متطاير، كيف لا والسّاعات الجارية بتلابيب العمر أبعد من مدّ يد التّلافي، وأنجع من نظرة الإحاطة والاستبيان، وما أنا ببالغ أمنيّة واحدة من أمنيّات القلب الحالم، ولا أخالني محققًا له ما تمنّى ولو من رجاء مَن لا يخون رجاؤه أملي.

يا قمر السّهارى... ما من ليلة من ليالي تجلّياتك إلّا وفيها آمال طالما شبّهناها باستنارة وجهك تحقيقًا وتمكنًا، وكنّا كلّما أبرمنا أمرًا قالت العيون لبعضها: سنذكر ليلتنا القمريّة هذه وكأنّما نشهدها علينا... ولا أنسى يا نجيَّ العشّاق يوم تشابكت أصابع يدينا على العهود وأنت تعكس بإسقاطات نورك إسقاطات عهودنا، فأنت أنت والعهود هي العهود لكنّها سرعان ما تبدّدت مع أوّل خيط من خيوط الشَّمس .

اعذرني يا بهيّ الطّلعة هذه الليلة، فما أنا وأنت إلّا نجيّان أحدهما شاهد والآخر مشهود، وبين الطّرفين جراح وآهات ولوعات هي طبائع لنا معشر العشّاق من بني البشر، أمّا أنت فرفعتك لم تمكّنْ منك سهمًا غادرًا، ولم تَفسَحْ لأكذوبة أن تنغِّصَ عليك نشوة بهائك.

يا نجيّة القمر... تعالي الليلة فما أحلى مناجاته وهو في أتمّ اكتماله وفرحته، الليلة بدأ يسرّ لي حديثًا ما أظنّه إلّا نفث سحر من وادي عبقر، هام وهام وعلى رغم ما بي من هيام حتّى أسكرتني دندنة هيامه، وأخذتني أخذ جبّار حكم فسيطر، وتحكّم فتجبّر... وقال لي:يا وحيد أرضك مع وحيد سمائه... كم تسافر معي عبر أخاديد الفضاء ودروبه لعلّك تقف على سرّ منّي خفي عنك كنهه، وأنا الليلة عازم على أخذك إلى عالم أسراري الذي مازال أمام عينيك اسمًا و لا مسمّى، ومسمّى لا اسم له، وسأحلّق بك فوق مدارات من مجاهل الغيب هي لكم – يا بني البشر- أساطير تقتلون بها الوقت دونما فائدة تذكر.

فأطرقت له – يا نجيّته - كالتّلميذ يسلّم رأسه لأستاذه في تواضع خفض ليملأه له علمًا وحكمة... وقلت في سرّي لعلّه سيتلو عليَّ تاريخ خلقه الأزليّ، أو سيسرد لي تاريخ الأمم التي شهد يومًا على رقصها على مسرح الحياة... لكنّه انبرى لي يعيد للسّمع تشنيفه، وللفكر تسليمه فقال: خبّرني أيُّها النّجيّ ماذا عرفتم عن القمر سوى تلك الدّورة التي يبتديها في شهر وينهيها في الشّهر ذاته، فهلّا عرفتم عنه ما وراء الحواس وخلف ستار العقل حيثُ عالم من الغيب لم يكشف العقل عنه إلّا ما يصيب المخيط إذا أدخل اليم، ولازال العقل البشريّ مقرًّا بقصوره فلم يمدح إلّا به... إنّني – يا نجي ليلتي- ذرّة أصغر من ذرّة الهواء أسبح في عالم عملاق من ميدان رحب فيه بثّت القدرة الإلهيّة أحد أدلّتها الشّارحة لمعنى عظمتها، وهل

عظمة المخلوق إلّا إشارة إيمانيّة للتّعرّف على عظمة الخالق!! ثمّ هناك غيب رهيب من عالم آخر لا يقوى عقل الإنسان على محاولة الإحاطة به، حتّى أصل بك إلى القدرة العليا في الكون المدبّرة لأحواله، الحاكمة لأمره، المهيمنة على قوّته... تلك القدرة التي خفيت حقيقتها لتظهر في صنع وخلق ناطق بمكانتها... وخفيت تلك القدرة العظيمة للخالق العظيم عزّ وجل لتذهب النّفس كلّ مذهب في الوقوف على دلائل جلالها وجمالها وكمالها، ولولا الغيب ما قامت للإيمان قائمة، كيف لا والإيمان ليس إلّا اختبار لصدق القلب؛ لذا لو اقتصر الأمر على مشاهدات لما تميّزت البشريّة في أفرادها أيّهم أسبق من صاحبه.

فاعمد من خلال قرصي إلى معرفة ما اختفى بوجهي، وتذكّر أنَّ جمالي إشارة إلى جمال خالقي، فكيف فكّرتم في جمال المخلوق، وتجاهلتم جمال الخالق؟ فقلبتم الأمور رأسًا على عقب، وأضحكتمونا عليكم وعلى فلسفة إيمانكم!!

رقص الحرف على همس الوتر
فـتـغـنّـى الـلـيـل وازدان الـقـمـرْ

وتـبـدّت لرؤاها طـلـعـة
كلـثـام شـفّ عـن نـظـم الـدّرر

نـاجـت الـبـدر بـإسـرارٍ وقـد
وافـت الـنّـجـوى تـرانـيـم الـسّـحـرْ

يا نجيّة القمر... أيّتها الأديبة الحاذقة... يا مَن وقفت على تلّة تستعرضين صحراء واسعة، وقد جنحت بذراعيك والقمر من علوّ يشدّه علوّك السّامق، ويأسره عنفوان تمرّدك على الأرض وترابها... ثمّ استرسلت في الإصغاء إلى إسراره، وأطرق هو بعدك لوشوشتك الليليّة المتناغمة مع موسيقاه العليّة... خبّريني بربّك من أيّ العوالم انبثق شدو طيرك فعمدت إلى بيان التّغريد، وكأنّما عزفته لك أفنان البراري المائلة على بعضها...

إنّك ومذ أرسلت المقطوعة الأولى وللقمر موعد ثابت لا يكاد يخلفه مع شدوك الرّقراق، ومعذرة لو قلت لك يا نجيّته إنّك من جمال الصّوت ما لو صبّ رنينه في مسمع جدث خاوٍ لدبّت فيه الحياة، ولو رقي به عليل

لقام من عقال المرض نشطًا طليقًا، ولو أعير لتائه لكان الدّليل إلى موطنه ومستقرّه... وما إطلاقك لحن المناجاة إلّا عنصرًا ضمن منظومة متكاملة الأطراف، متّسقة الحبّات، مكتملة النّظم، وهي تتألّف من ليل ربيعيّ النّسيم، وهواء مخمليّ الملمس، وبدر متّقد السّراجية كأنّ سراجه يأخذ بزمام الأرض من مبداها إلى منتهاها في قبضة من إحدى يديه ويصافحك بالأخرى نشوان مرحًا، ومع ذلك طاعت لبنانك الحروف، ورقصت في حجر مجمعك المعاني، فاكتملت بهذا مقاطع الجمال الليليّ يا نجيّته.

لكن رويدك فالتّخفيف من هذا السّحر البيانيّ فيه مواكبة لسير كسير ظلعت راحلته من شدّة الوقوف على شدوك الأخّاذ، فرحماك لقد طال به المثول فلم يشعر إلّا بوارد الخاطر تلو الخاطر، وانبعاث الصّادر من الدّمع تلو الصّادر وأيم الله لو تابعت هذا الغناء لعزف عن الدّنيا كلّها شاردًا في مقامات القمر ساعة سمو مناجاته... فترفقي يا سبائك الطّرب، وتأني يا عقود الغناء، وسيري على سيري المتمهّل فإنّي وربّك ما ذقت غمضًا مذ ناجيت حتّى سكرت أوّلًا من ثمالة السّموّ الشّادي.

يا نجيّة القمر... هذا أوان اللقاء بضحضاحه المهيمن على جوانب الكون، وساعة الالتفاف ببهاء جماله الضَّارب في حنايا العروق الحيَّة... وبريقه المتحدّث بأسمى لغة قلبيّة علويّة. نظرت الليلة إليه فأخذني خيال واسع رأيت فيه عوالم من تمتمات الوجدان الخفيّة ووقفت على أبعاد النّفس وأسرارها، حتّى شكّلت من هلاميّات اللامحسوس واقعًا أغناني كثيرًا عن قطعيّات المُعاش المحسوس... ماذا يا نجيّته؟؟ أهو بعد آخر من أبعاد الحياة الخفيّة؟؟ أم تلك هي الحياة الحقيقيّة نمارس قوانينها لكن بعيدًا عن شهيّة المعدة، وذائقة اللسان، ومتعة النّظر البصريّ، لنراها مع متعة نظر البصيرة... نعم لقد أخذني القمر الليلة في سرداب بالٍ قديم أراني من خلاله - وعلى مدّ البصر- شخوصًا وأشكالًا، منهم مَن مضى لكنْ هنا بقي ماثلًا، ومنهم مَن غيّرت الحياة أصدق ملامحه فرأيت هنا ومن وراء هذه الشّاشة القمريّة بصدق تلك الخلال لم يتغيّر ولم يتبدّل.

آه يا نجيّته كم تمنّيت امتداد ساعات الليل إلى حدّ إروائي وإشباع نهمي وأنا أتصفّح العالم الآخر، بغية نقله إلى مكانه من الذّات بدلًا من عالم معاش لكنّه في حقيقة المميت القاتل... آه ثمّ آه حينما داعبت قلبي بإسراره وهو ينقل لي عبر دربه الطويل صورة مَن أحبّ فإذا بها ترتسم أمام عيني كنسخة من وجهه المضيء، فطفقت أعلن: تلك هي ابتسامة محبوبي، وذاك

هو جيده البارق في ظلام حياتي، وهذه لمسة يده الحانية تكاد تهتك كلّ ستار وهي تتهادى على قسمات وجهي كمرّ النّسيم الغادي على ساعات الرّواح. لقد مثّلت الليلة تلك السّاعات الخوالي فكرّتْ الذّكرى كرّ المتوثب على استفزاز الحدث، وانحدرت عبر الوهاد والصّخور والأودية صورة حبيبتي متناغمة مع أهازيج الخرير، ونشيج السّواقي الحزين زائرة في روعة الليل خبائي، تعيد لي من الماضي فرحته وحزنه... رضاه وغضبه... شدّته ونعومته... وامتدّ اللقاء، وغارت النّجوم، وكاد الصّبح يميط عن الدّنيا لثام الليل وعدت وغاب القمر ليجدّد من الغد طلوعه، آه كم ذهب فعاد، وذهبت لكن هل سأعود؟؟؟

ها قد طالَ على قمرنا هذا البعد يا نجيّته، وغدا لسان الحال عن سوء الحال مخبرًا ومعلنًا، فأين الليالي حيثُ هبوب نسيمات السّحر، وتدفّق أمواج الظّلام، وهمس هنا على مقربة من همس الذّاريات السّواري، والبراري المقفرة إلّا من زحف نعلينا يسابق رشاش الماء المتناثر بمغارف الرّياح على ديباج الرّمال النّاعمة... و... و... وأنا وأنت والبدر حزمة من نور أحدنا أعلى الأرض والآخران على ظهرها، وبين الجمع القمريّ تنساب لغة المناجاة متسامتة مع موجات النّسيم الرّيّضة، وما أعتى الحياة إذ تسرق منّا أحلى الأوقات وأهنأها!! وتخلّفنا أثرًا بعد عين، وخبرًا بعد يقين، وذكرى بعد واقع.

يا نجيّة القمر... لو ظللت الدّهر عاكفًا على مناجاته لما فتئ يسرّ إليّ بمكنونه الضّوئي حتّى أنسلخ من بشريّتي إلى قمريّته، فهو – وإن بعُد – قنديل معلّق بين الجفن والجفن، لكن لا يراه إلّا الخالي في المكان الخالي، ولا يستوعب إسراره إلّا ربيب سحر، ولصيق فكر، وهائم بين شفافية الرّوح ولطافة نوره.

وإسراره لي هذه الليالي المنصرمة كان بمثابة وشوشة مؤنس حميم يكاد يسكب في المسامع ماء الطّمأنينة الرّائق، حتّى إذا بلغ السّيل منتهاه أغضى عليّ بجفن الوسن إغضاءة تحيي الرّوح بعدها في ميدان النّشاط والعمل. ولكِ أن تسألي عن نوع الإسرار هذا، وطبيعته... وعلى كلٍّ فهو إسرار لا يحمل عنوانًا مثله كتمتمة العشّاق لا تحمل عنوانًا سوى تأرجح بين شكوى وشوق، وشوق وشكوى؛ فينتهي الوقت بينهما ويخلد اللقاء لكن بلا عنوان.

يا نجيّة القمر... سألتك بمَن شقّ في وجه الدّنيا العابس ضحكات نوره، وأبلج في دامس ظلامها شقشقات سروره أن تسأليه عنّي ما اعتمل في خاطري من استفهام، وتبطّن قراري من حيرة هو لها الكاشف المبين، كما كان لها ساعة المناجاة الوفيّ الأمين... اسأليه ماذا بعد الغياب؟؟؟ ولماذا كُتب عليه الغياب؟؟؟ وهل الغائب في الحقيقة هو أم تلك الأجساد المتلاحمة في ضي إسفاره؟؟؟ والأنظار المتوقّدة شوقًا إلى آخر رمق من يقظة سمّاره؟؟؟ وحبيبان كانا رفيقي قلب، فصارا شتيتي درب؟؟ واسأليه يا نجيّة الهمس القمريّ عن سرّ يقظته في غفلة الغالبيّة من سيّارة دربه، كم نزحت بهم عن رواق رحابته الشَّواغل المفرطة همًّا ونكدًا، وليت شعري هل أدركوا من فرصة العمر إلّا ما يؤملهم في سراب الغيب ما ليس لهم، ويبعدهم في نسج المستحيل ما يبدو لقاصر النّظر رزقًا حاصلًا. واسأليه عن الآمال المرسومة في صفحة وجنته الصّارخة نورًا... كم من ناظر استشرف نزولها على عجالة المتلهّف، وكم من حائر خرّ صريع تبسّمها من وجهه في وجهه... وما أنا حيالها إلّا ذلك المتوقّد شوقًا إلى مفتاحها، وكأنّي- يا نجيّته- لا أرى من بعد عن تحقيقها إلّا كبعد ما بين الشّفتين قبل إطباقهما على باء الحبيب المصان داخلهما.

وكأنّي استعلنت وضوح تلك الآمال قياسًا على استعلاني وضوح القمر حالة اكتمال قرصه، فإذا بي أعيشها أقرب ما تكون، وأحلى ما تبدو، وأهنأ ما تُستساغ.

ثمّ اسأليه عن إرادة الإنسانيّة حينما تتخلّص من قيود التّبعيّة كما تخلّص جرم هذا القمر من محض تعلّق يحدّد له متى وأين وكيف يسطع؛ فما هو في سبحاته الحرّة إلّا جرم يسبح في فضاء واسع كان لحريّته مدى واسعًا، كلّما شاهدته العيون تاقت إلى فلسفة حريّته، في الوقت الذي يذهب عمر الإنسان فيه سدىً ولم يثبت لذاته مرّة أنّه أنفق على نفسه من حريّته الموهوبة عشر ما يصرفه على تقييد هذه النّفس بالأوهام في غالب الأحيان.
يا نجيّة القمر...

هنا كنت، وتحت هذه القبّة المضيئة تعلّمت مبادئ التّعرُّف على الذّات، فوجدتُّني أستفيض معرفة، وأتفجّر شعورًا، وأمحو من مخيّلة الإثبات ما يخلّيها لثوابت النّفي، وأستجدي من علامات الاستفهام ما يربو على قرارات النّقط... فجئت

وسأعود إليك وإلى إسرار القمر.

يا نجيّة القمر!!

غربة هي الأيّام نقضيها ثمّ نمضيها بين فوات لحظة لا تسعد، وليتها تردّ وهيهات أن تُسترد. تأكل منَّا تلك الغربة أينع ما جادت به يد العمر الخفيَّة، ونحن بسذاجتنا نحسبها منحةً تُهدى إلينا على طول انتظار، واستشراف موعد هو كاذب يا نجيّته في سرّه، مارق في تيه غوايته. ونعود إلى القمر! نصافح المناجاة السّالفة الجميلة جمال الماضي فإذا بها تعلن البراءة منّا، وكأنّنا ادّعيناها ادعاءً، وافترينا حضورها الليلة افتراءً... وفي وجه القمر تلوح تلك الفوارق معلنة انسحاب الماضي مخدوشًا في وجهه الجميل بخربشة أظفارنا المولعة بالتّشويه، والمغرمة بتعاسة الحال أكثر من ولعها باسترداد الجزء اليسير من قصّة مناجاة الأمس. لا أخفيكِ أنّني ناجيته، وحاورته احتيالًا على كبريائه المستعلي، وأدرت دفّة الحوار يمنة ويسرةً حول قرصه العالي المستبدّ بلفّة الوشاح النّورانيّ... لكنّه صمت، ثمّ صمت، ثمّ أدبر في دهليز الليل يريني من قسمات إدباره نقيض ما كنت أرى من ضحكات وجهه، وأسارير استدارته. ولا عتب هنالك إلّا أنّ جريرة الآدميّة تحيق بي في نظره، وفرية التّعلي بذاتي يكذبها تعلّيه، وانخفاضي، وحلم ليل مرّ من بين أظهرنا ذات مساء أطفأ الفتيلة، وكسر بعدها المصباح.

آه يا نجيّة الأمس من ليلة كئيبة ما شفع لنا فيها ماضي المناجاة، وليس لنا فيها إلّا أنّ نضحك كثيرًا استعصاءً على دافق الدّمع المروّع.

قصّتنا مع المطر

قصّتنا مع المطر

قصّتنا مع المطر أحلى قصَّة أصابت مشاعرنا ببللها المفرط فرقصت كما رقص جسدانا الصّغيران تحت المطر يومًا ونحن يا حبيبتي لا وزن لنا إلّا وزن المطر، ولا جرم يميّز جسدينا إلّا سيلان قطرات المطر فوق ذراعينا المتلازمين المتعانقين المتلاشيين تحت وابل زخّات المطر.

وتمسكين بيدي في يدك تحرّرينها من أغلال الحياة الكذوب لتحسّ في يدك بالمطر... وكم كان المطر صادقًا في إحساسنا به لولا لغة التّصحّر والجفاف التي لاتبقي من المطر إلّا ذكراه، وشيئًا من قصيد يردّد أغنية المطر في زمن التّصحّر والجدب.

آه يا تلك التي مضت مع آخر قطرات المطر فلم تعد كما غاب المطر... تعالي نكمل معًا قصّة جنوننا، وعثرات صبانا، ونشاز تحرّكاتنا تحت نثار زخّات المطر.

ذات مرّة

وذات مرّة شاح بنا القدر إلى تلّة في قمّة ذات رابية خضراء سجلت فجاجها وطرقها أندر لهو كفرنا فيه بالعقل، وتخطّينا حدوده، ولم نبكِ على فقده، وكيف ندرك فقده ونحن مَن رأيناه سبّة إنسانيتنا، وشذوذ

مسارنا السّويّ بلا عقل يرسم، أو رشد ينذر.

وكانت السّماء تبض عن بياض أشبه ببياض وجنتيك المشربتين بحمرة الخجل، وفي لبد السّحاب شيء من امتلاء شفتيك باكتناز دلال الشّباب المثقل ببعض من كبرياء، وبعض من طفولة تكاد تحيل قوامي عرشًا متهاويًا متساقطًا بين تلك اللمى المعنونة بشبابك حينها يا جارة السّحاب تعليًا، وجارة الورد تخددًا، ثمّ جارة النّسيم تدللًا وتمايلًا.

وتخطّينا بعدونا جنبات ذاك الوادي... ونزل المطر!! وتقاذفنا رشّاش الماء أيّنا أسبق إلى هزيمة صاحبه، وجرّه إلى الاعتراف بشيطنة الآخر... ونزل المطر أكثر، وصرخنا لأوّل مرّة يا حبيبتي بنداء حبّنا، وجهرنا ليسمعنا كلّ شيء مع المطر... وبصوت واحد... أحبّك... أحبّك... أحبّك يا هذا، أحبّك يا هذه بسحر الهمزة، وطلسم الحاء، وجنون الكاف.

ولأوَّل مرَّة يا حياتي يتندَّى نداء حبّنا بنداوة المطر، وبسحر جمال المطر مع صفاء الأفق يصفو حبّنا كالماء القراح النّازل على معطفينا تلك اللحظات الليليَّة الماطرة يا أجمل نداءات الكون في دهليز مسمعي المتبتّل في محراب منطق فمك.

لا تقولي توقّف المطر!

وها هو شعر رأسي مبلّل بالمطر، لم تمضِ ليلتنا لا لم تمضِ في حساب مجريات الفلك، ولم يطلع الصّبح مبددًا أماني الليل يا حبيبتي... ومع مرور الأيّام كلّ يوم بألف عام لا لم يطلع علينا الفجر بعد، صدّقيني لم تزل راحة يدي تعيش دفء ضمّة يديك، ومازال المطر ينزل في ليلة لم تنقضِ، ونظرة بيننا سارية لم يغمض جفنها، وضمّة حضنك الظّمآن تنقلني عبر موجات المطر إلى ما شئت لي من جنان الله الخياليّة السّاحرة...

لا لا تقولي توقّف المطر! لا تقولي جفّت معاطفنا من بلل المطر، بالله عليكِ لاتقولي تحرّكت أرقام التّاريخ لتحيل اليوم أمسًا حسب تصاوير الورق.

استعطفتك بحقّ ذيّاك المطر... لا تصدّقي أكذوبة الليل... لم يعرف حبّنا يومًا نقطة نهاية أو منحنى تحوّل... نحن يا حبيبتي لم نعش إلّا لمطر ليلتنا تلك الغارقة في أوحال ذاك الطّريق والدّنيا من حوالينا منقادة لتراتيل ذيّاك المطر.

وفي ليلة المطر

وفي ليلة المطر أبحت لي كلّ ما تمنّيت وأتمنّاه، وما كان أغلى عليَّ من قبلة شفتيكِ المرسومتين وفق تموّج زفيرك وشهيقك، لكأنَّما تشكّلت أنفاسك على افترار شفتيك إذا جمعا معاني الفتنة في ابتسام، أو جمعاها في تعقّل بعيدًا عن فتنة المباسم... وهو هو قتلك بسيف الشّفاه لا فرق في تأصّل فتنة الحسن إذا غضبت وإذا رضيت وحلمت.

وللحقّ أقول لا يبلغ بياني منتهى الشّعور بشرح أبعاد قبلة شفتيك ليلة المطر لما فيها من جمع رضابك الشّهديّ مع طعم المطر، ولما في رائحة فمك المسكيّة مع رائحة المطر، وأبعد منهما غورًا كرم قلبك أن يمنحني قبلة العمر مع رذاذ المطر وهو يجري بين شفتينا فأحتسيه بك يا طعم النّعيم الخالد في شفتي.

وأطلنا تحت المطر

وأطلنا تحت المطر قبلة ممزوجة بماء المطر، مستورة بعباءة الليل، مشمولة بقلم الذّكرى يؤرّخها للأيّام يا حبيبتي أجمل قصّة لأحلى قبلة ولدت في خيمة المطر...

كنت طفلة في قبلتك أمام عنفوان طمعي المفرط، وما أحلاها ساعة يعلّمك المطر فيها كيف نعيش مستقبل أيّامنا نقتات على قبلة، وندين لقبلة، ثمّ ننام العمر الكئيب على أنفاس قبلة.

أين يمضي بنا مركب الحرمان يا حبيبتي وبين شفتينا قبلة، وفي عيوننا نظرة، وبين أجنحة الخافق شوق وحنين. ولم الحرمان وخطانا هناك تحت المطر مازالت تنادينا.

من بعدك لا يكاد يستهويني موسم المطر

ومن بعدك لا يكاد يستهويني موسم المطر العائد مع غربة الأيّام يا حبيبتي، وكم كان هنيًّا على روحي الظّامئة يوم أن كنّا نستسقيه نحن الاثنين فلا يتخطّانا سيبه قيد أنملة بعيدًا عن محيط رأسينا يا حبيبتي. وعاد موسم المطر بعد أن محت الأيّام من صفحة انهماره آخر ملامحه المبتلة بوبله الصّيب، وما عاد بدونك إلا خالي الوفاض من أيّ بسمة في الوجود يشتاقها قلبي، وبلّة شفة يتعطّش إليها ظمأ تقرّحي، وأنا الذي ما قرأت اسمك إلّا سحبه الغائمة حتّى أدركت أنّك هديّة القدرة الإلهيّة لا تنبعث من طينة الأرض إلّا وتزفّها إلى عالمي مدامع السّحاب العالية.

وعاد موسم المطر ليهزّ برحمة الله قلوب الكائنات فإذا بها تختال عبوديّة كونيّة لَمَن أنعم... وعاد موسم المطر وما عدنا معه، وبذهابنا ذهبت أمنيات السّحر الماطر لنعيش الأرض جفافًا غريبًا على موسم المطر.

وعاد المطر...

وعاد المطر ولك في صفحته المنقوطة حضور منقوط يحوّل قسمات وجهك القديمة دموعًا... بللًا... رشحًا من جرّاء تعب هذه الخطى الضّائعة بيننا عبر مسافة لم نحسب لها يومًا حسابًا يا حبيبتي.

يتعبني المطر وقد كان وسيط اللقاء بين شفتينا حينما كان يندي جفاف الشّوق، ويبس آثار الانتظار، ويحيل محلّ الأيّام بينهما سحابات ماطرة تلتقي مع عيون الأرض لإظهار معجزة القدرة في تفرّد لا سابق له بيني وبينك يا حبيبتي.

كنتُ قبيل الأمس أكتبك في مفكّرتي اليوميّة بمداد المطر المتساقط فوق رأسي ووجهي يغيّبني كثيرًا، فلا أدرك مَن أنا حتّى أتخيّل كفّيك الحانيتين تمسح عن وجهي بلل المطر فتأخذنا زفرات العناق إلى فلسفة "لا أقدر... لا أصبر... لا أحتمل... لا أعيش إلّا بقوت من شفتيك المسكيّتين نفَسًا، الورديّتين لونًا، الدّمويّتين بتراتيل الغنج قتلًا".

ما للسّحاب بعدك ينكر القبليّة في عداد السّلم الزَّمنيّ كأنّه قدر متفرّد ببعديّة سحيقة سحيقة لا تصل إليها أغوار الخوانق الأرضيّة، وأبعاد مهاوي الشّهب السّماويّة!!

ما للسّحاب بعدك يطويني بقوافل من النّيازك لا أقوى على الصّمود أمام عتوّها الجارف، وأعود فلا أجدك لأنّ بعديّة الزَّمان محت قبليّته ليجيء المطر ولا شيء بعد مجيئه إلّا خلو الأوحال من عناق أقدامنا يا حبيبتي.

إلى امرأة تجيد فنّ التّماسك ! !

يا قلبي الموسوم بحبّها

منذ أيّام وأنا مع قلبي الشَّارد أعيش خصومة قاضية بقتلي، ومع القتل حياة لو أدرك القلب الشَّارد في متاهات السّراب كم للعقل من مزيّة في مثل هذه الحالات...!! وليته يدرك ليتحرّر من رقّ سراب لا يعرف الصّدق، ووهم لا يعرف باب الحقيقة...

يا قلبي الموسوم بحبّها... مَن تكون تلك السّاحرة النّافثة بين بطينك وأذينك سكرة العشق الأبديّة فتجافيت عن مساس ذاتي لتعيش فكرة سرابيّة وهميّة، وحدك مَن يفكّر... وحدك مَن يحبّ ويهيم... وحدك مَن يبني من بريق السّراب بحارًا من نسج عنكبوتي التّماسك...

الآن أدركت أنَّ حبًّا عظيمًا ينشأ من الوهم، ويترعرع فوق سموات من خيال كأحلى ما فكّر عاشق، وأجمل ما تحلّى به هائم... لكن يظلّ وهمًا لأنّه وبين غمضة عين وانتباهتها يفتح كفّيه ليقرأ في راحتيهما وجوده المتفرّع اثنين وهْمًا وزورًا وضلالًا...

كانت أقرب لحركة رمشي من فكرة التّحديق ليقلّ النّظر جفنيه ناظرًا، وأقرب لخصائص حواسي من وظيفة الحسّ ذاتها إلى حال أجدها فيه تسابق أنفاسي لحظة خلود إلى الزّفير، واستسلام لهيمنة الشّهيق الجبريّ... أنت من خلقتها كذلك يا قلبي، وعشتها بهذا الكيان تكيّفه تتحدّى به التّكوين الأوَّل لها... ولا تعلم أنّك منها فكرة من آلاف الفِكَر العابرة صفاء سمائها كلّ يوم، وما أنت لها إلّا كلمة قرأتْها لا مدلول لها في مخزونها المعرفيّ لأنّ الأمر لا يهمّها لتهرع إلى مدلوله المعرفيّ.

وأنت يا قلبي الشّارد ما أنت لها إلّا كواقع المجهول يزهد عقلها في الانتباه إليه زهادة الرّوح في جدب لا ينبت ولا يروي.

قبر الوهم

ما أشنع الوهم حينما يبدأ يقبر شخصيّة الإنسان شيئًا فشيئًا، وما أشدّ كلمات ذلك الوهم، خاصّة حينما تبدأ تضيع في هلاميّاتها حقيقة الإنسان ليجد نفسه بعد حين صفر اليدين من كلّ شيء.

وليس أدلّ على اضطراب الإنسان حينما تفرغ ذاته من كلّ مضمون نافع من التّمرّد على العقل خاصّة، فإذا به كالسّكران لا يبحث إلّا عن جدار يصدمه ليفيق، أو كأس يزيده اضطرابًا...

ألا ما أشنع المغالاة في الشّيء حينما لا يعرف أوّله من آخره. وقاتل الله الوهم كم يري الإنسان السّماءَ أرضًا، والبئر الغائر فضاءً وجوًّا.

عن أيّ وهْم تتحدّثين؟؟

أنت مصدر إلهامي لاشكّ في ذلك، مهما قلبت الحقائق واعتبرتني بذلك واهمًا... وكيف تعيذينني من الوهم في حبّك لي؛ ومجرّد العيش في مألوف الأوهام فترةً نقلة إلى حقيقة قائمة بذاتها هي حقيقة الوهم نفسه، وهل نملك - معشر الشّعراء -لإشباع نهم الشّاعر إلّا أن نبسّط شُعَب الحقائق إلى أوهام علّها ترضي غرور هذا العنيد المكابر.

عن أيّ وهم تتحدّثين؟؟؟ ولمَ لا تكونين مصدر إلهامي حقًّا!! ألا يكفي أن يصيب حبّك منّي المقاتل فلا يسلم مني شيء منك، وكأنّك المرض العضال لا برء له ولا رجاء في شفاء، هنا يكذب واقعي معك واقع قذفك لي بالوهم اعتمادًا منك على أنّ الحبّ لا تتم أوصاله حتّى تأذني سيادتك له بالانطلاق أو التّوقّف، بالنّجاح أو الفشل...

مغرورة أنتِ بقدر ما أحبّكِ، مكابرة علو سقفك في خافقي، وحيثي، تتسلّطين على ما ليس لكِ عليه يد، وتتحكّمين في أمر لا تحكمه إرادة منكِ عليه، يبقى لكِ أنّكِ مولاتي اعتدتِ على أن تقولي ما شئتِ، ولا أقول إلّا ما شئتِ أنتِ...

أقدار قتل العشَّاق

تتعدَّد أقدار قتل العشَّاق، وليس على قلب العاشق من قدر يقضي على مادة حياته المتشّعبة كتلك الأحاديّة التي يقتات منها وهْم الحبّ مخلوقًا في رحمه دون أن تكون له خطوة يخطوها على أرض الواقع... عجبًا والله لكأنّ العشق نسيج أحاديّ القدر لا ينتقل إلى ذات المحبوبة حتّى تفسد مادّة بقائه أو تتحوّل خلًّا حامضًا فاسد المذاق... مساكين هم مَن يعيشون أكذوبة الحبّ بيد أنّك تقرؤه في عيونهم أرقى مراقي الصّدق، وتجسّه في ملمسهم أغلى أردية الإخلاص... لكنّه صدق أحادي وإخلاص أحادي.

وأنت أيُّها الوهْم المسمّى "حبيبتي" اعذريني على نسبتي لكِ الموهومة وأنتِ بريئة منها، وذلك الذّنب الذي لن تغفريه لي مهما صدقت توبتي لأنه ذنب خلقك في كينونتي الواهمة خلقًا آخر، خلقًا شكّلتْه كيفما أهوى وأريد وأحبّ، حتّى إذا ما اصطدمت بالحقيقة رأيتك لا يربطكِ بي سوى أنّني في مكاني، وأنتِ هناك تنكر قدماكِ كلَّ الإنكار سلوك السّبيل إليّ.

امرأة تجيد فنّ التّماسك

أنتِ أعظم امرأة تجيد فنّ التّماسك الطّبيعيّ أمام زوابع أعاصيري مهما عتتْ، واستشاطت عقمًا في هبوبها الزّاحفة الجارفة. ولا أدلّ على ذلك من هذه اللغة القويّة من الصّمت التي ترسلينها لي لتقولي فيها: إنّ سدّي المنيع أعتى من عتاة حروفك، وجيوش عشقك المعسكرة فوق متنه العظيم... وأنا أقرّ لكِ بذلك فإنّ غيابي عنكِ علّمني كثيرًا، بل وأقرأني كثيرًا دلالات الغرام الواهم ولا ذنب لكِ لأنّكِ لا تذكرينني إلّا إذا ذكّرتِ، ولا تفتقدينني إلّا برؤية حضوري لو لاح لوني الباهت في ناظرك صدفة وما أكثرني في حياتك صدفًا لا غير. وما أقلني في شبكيّة بصيرتك حضورًا، وما أولاني إزاءك التزام رجوعي إلى خطوطي الأولى لألمح فيها حقيقة وضعي قبل تنقّلي في سراديب وهمك فترة من الزّمان...

تفاصيل رحيلك ! !

يا مَن رأيتِ إغلاقَ الباب فتحًا

يا من رأيتِ إغلاق الباب فتحًا جديدًا لكِ في عالم انصياعي، وخضوعي... لازال بابكِ في عيني متعامدًا بطوله، وعرضه مع طول وعرض كبريائي، وقد ينفد الباب بعوامل القرض التي ستأكله من كلّ جانب... ويظلّ كبريائي مستطيلًا في عرض السّماء يزاحمكِ هناك، حتّى تعلمي أنّ سياسة إغلاق الباب ليست إلّا بداية فتح العجز عن مقاومة كبرياء السّماء.

أنا لا يطمعني في جوارك إلّا حبّ جوارك، وما تردّدت في أفياء ميدانك إلّا لأستوحي ندائي الغارق في أنفاسك ساعة ما تناديننني وبيني وبينكِ أقرب من قرع صوت الهمس على مشارف الخاطر... وأنا على تمرّدي، وإصراري أعترف بأنّ جنايتي هناك لم تكن سوى عصيان كبريائكِ، يقول لي اهدأ فأملأ الدّنيا من غنائي بغيركِ وهو لكِ.

ومع بداية عهد جديد معكِ من قطيعة - أنتِ مَن ابتدأ إشعالَها - سأبدأ معكِ يدًا بيد في وضع لبنات هذا الجدار العازل بيني وبين مكان بوحك، وسأساعدك كثيرًا كثيرًا في أن يظلّ باب الحجب موصودًا أكثر فأكثر، وستجدينني مَن يذكرك كثيرًا بضرورة أن أظلَّ خارج أسوارك يا حبَّ الأبد.

ما أحلاك غاضبةً

ما أحلاك غاضبةً تُصارعِين الكلمة الطّائرة في الهواء، وبين كلّ جمرة وأخرى من كلماتك تعلنين بينك وبين شعيرات الهمس: أحبّكَ...

في لهجة غضبك لغة جديدة عصيّة على مجمل الشّعور أيًّا كان نوعه، يصبغها الشّعور الدّاخليّ عندكِ مهما حاولتِ بها ستر المخبوء يأبى إلّا أن يبدو المخبوء... تلك هي لغة الأديب الذي تكتبه دموعه ولا يدري كيف يتمرّد عليها، ويهرب من قلم داخله فينيخه رغم أنفه...

والنّاظر إلى الأنثى وهي تصبّ جمّ غضبها، وتنفخ به حروفها نفخًا يكاد يكبر في عين قليل الخبرة بفلسفة الأنوثة، وهو غضب صادق لكنّه كالضّرورة المؤقّتة، أو كالمسكّن للصّوت النّاجم عن الفطرة الحقيقيّة المعالج علاج التّلبيس لحقيقة ينبغي أن تكبت، وحبّذا لو تُخلص منها في القريب العاجل.

وممّا يكمل هذه الصّورة للأنوثة العاشقة تلك النّقلة السّريعة التي تقلب النّار المشتعلة دفئًا، وتقلب الحريق عذوبة وبردًا، وذلك حينما تصل العاشقة إلى مبتغاها من قهر سلطان مَن تهوى بسلطانها الأنثويّ الجميل الوديع في حقيقته، وشراسته.

والأنثى هنا لا تكون أرقّ ما تكون إلّا عن طريق أخشن ما تكون، ولا يمكن أن تبدو نصاعة حبّها المخلصة فيها لمَن تهوى إلّا بعد أن تفرغ صدره من كلّ طمع عن طريق إثارته غضبًا وغيظًا، وتعبًا، وغيرةً، ثمّ تصبّ فيه ذاتها الرّقيقة كالماء البارد يصبّ على القلب الملتهب، وكأنّها تقول له: لا إطفاء لنارك إلّا بنوري... إنّها تصبّ ذاتها في صدره بعد ذلك لتكون هي ملء ذلك الصّدر المسيّج بغيرتها، وشراستها، وغضبها...

مسارات عاثت فيها الظّنون

مسارات ومسارات بيننا عاثت فيها الظّنون فسادًا، وملأتها الأقاويل حكايات ملفّقة مزيّفة، فغدتْ كالثّوب البالي لا يحتمل شدًّا، ولا تحريكًا، وهو أقرب إلى الاستغناء عنه من الاحتفاظ به، أو اقتناء مزيّة فيه. وهكذا لا تحتمل مجريات الأمور بيننا بعد اليوم مجرّد قبضة يد حانية، فإنّ لمسة حانية من يد ما قد تقتل المريض، وتميت المتهالك، وحالنا اليوم أقرب إلى التّهالك منه إلى التّماسك، وأمسّ حاجاته السّكوت عنه حتّى لا يفجّره السّؤال فيموت ويميتنا معه.

هل بُعدك عنّي الآن حقيق بأن يلبسني في نظرك جميع أثواب الرّيبة؟ ومهما كان لا شفيع من سوء ظنّك إلّا تركك وظنونك بعيدًا عن مماسّة الشّعور النّبيل الجميل الذي تربّى لك بين جوانحي كتربية الجنين في بطن أمّه، ومع ذلك يقدر له أن ينشأ على يديك دعيًّا لا

صدقًا يحكي، ولا صحّة سريرة يكنُّ؟؟... وما ذنبي إذا كان حبّي لك لا عين له يبصر بها، ولا أذن يسمع من خلالها، وهو على الحالتين فاقد العقل وتمييزه... إنّه حبّ خطاف الأصول ليزرع مكانها فروعًا لا حقيقة لها سوى أنّها هشاشة في ضعف، وضعف في وهن من هشاشة.

قاتل الله الظّروف لم تعِ منّي أنّني شاعر لو أحبّ فَسَيْف رقبته على شقّين يقطع... يقطع بالشّعر، ويباركه الحبّ الجائر المتعمّق في محبوب لا حبّ له ولا شعر.

تجاهل حروفي

إلامَ يمتدّ بك تمادي تجاهل حروفي وهي قلادة جيدك، وأساور معصميك، وقد نفذ منّي آخر ما للصّبر من قوام؟؟ أدركيني إذًا بمتنفّس للصّبر من عندك أقوى به على نعمة السّكوت إلى أن تشبعي منك نهم الغياب، وترضي فيك داعية هذا اليباب.

لكأنّك اليوم عازمة على قراءتي مناشدة لك ألّا تغيبي! فأنا أينما كنت في القرب منك أو خلف أسوار المسافات الطويلة لا أتشكّل أديبًا إلّا بوحي تصرّفك معي، ولا أعلم كاتبًا يصدر إلّا عن تلقاء نفسه غيري أنا... أنا يا ملهمتي الغاضبة حرف محلّق حرّ لكن في مداراتك الواسعة، وآه ثمّ آه من سعة مداراتك.

لكِ أن تتفنّني معي في اختبار كميّة وكيفيّة، ونوعيّة، وسلامة حبّك في كياني كيفما شئت غير هذا الغياب الذي لا أحتمله.

لكِ أن تديري خصرك الغالي حول محاور شبقي تمنعينني حينًا، وحينًا تغرقينني بكِ... غير هذا الغياب فرحماكِ لا أطيقه.

لكِ أن تثقلي معايير تدلّلك، ومحامل مشاعرك فتمكرين بي حبًّا لا سلوًّا، وأنا أتلظّى بنار هذا الثقل كما عرفتني طفلك المتهالك على دقّات قلبك وهو يخفي معالم وجهه في حنايا صدرك... لك هذا غير ذلك الغياب فتلطّفي فديتكِ إنّي لا أعايشه.

سأغيب بغيابك وتجاهل حروفي حتّى أميت نفسي، سأغيب وأنا أدرك موتي لا محالة... لكن سأغيب... صدّقيني سأغيب... فعودي عود المدلّل انكسرت لامه الأولى، فقد كفاك فتح هذه اللام طورًا من الدّهر يا ملهمتي.

أحبّ غرورك

شاقني كثيرًا تعاليكِ وغرورك أيّتها الغائبة...! أحبّ غرورك لأنّه وُلد على رسم كلماتي؛ فأنا الذي فجّرت حصاته، وجعلته وخزًا في عيون النّساء غيركِ، لقد ترعرع في مهد خواطري، ونما حتّى اشتدّ عوده، فصادف منّي عالمًا عشقيًا ذائبًا في محلول ملوحته فحلّاه، وجلّاه، وأغدقه من سماء العشق عذبًا فراتًا سلسبيلًا.

تجادلني فيكِ النّساء...!! وحُقّ لهنّ ذلك! فإنّ امرأة كتبها حرفي فغدت به أميرة لجديرة أن تقلب وجه الأنوثة الوادع عبوسة من صخب الحسد، والغيرة، والحيرة الآسرة لكلّ ذات لبّ منهنّ، حتّى يستقرّ بهنّ الحال على جوديّ القناعة أنّكِ مولاتي الأميرة حقًّا وعدلًا.

وأنّكِ مغرورتي إذا تهافتت عليها قصائدي، وأدبيّات عشقي فعقد الإجماع الأنثويّ على أنّها مقصودته... معشوقته... معناه، ولفظه... أدبه، وفكره.

ألا فزيدي الغرور بكِ غرورًا، وأطمعي بغرورك قلمي كما أطمع العشق بكِ قلبي فغدا من سكر ريّاك بكِ عابثًا مخمورًا... تكبّري!! وعلى مدارج حرفي تبختري، وما بين جفنيَّ عن عيون الحاسدين تستري، فإنّ من جلاء الرّؤية في الحبّ أن تستطيل الأنوثة ماكرة، وأن يتلقّفها حبيبها بقوّة الاحتواء وهي في قوّة من غرور وكبرياء.

لو كانت شفتاكِ في متناول فمي

لو كانت شفتاكِ في متناول فمي لأرهقتهما ابتزازًا حتّى أستخرج من باطنهما ابتسامة ساخرة منكِ، ومن تصرّفك الأخير هذا معي... ومن رسالتكِ التي كوتني بنار غيظك المجنون. ألم تعلمي أيّتها الماكرة أنّ جنونكِ هذا لم يزد النّار إلّا اشتعالًا، ولم يزد الاشتعال إلّا خبالًا؟ ولم يحشُ قلبكِ إلّا بنتاج رعشة يديك وأنت توصدين الباب بيني وبينك.

ترى هل أوصلتك عبقريّتك الفذّة إلى الحلّ المنشود بيني وبينك، فلم تجد من سبيل يروقها إلّا صبّ هذا السّيل من السّعير الغضبي عليّ... مع أنّي قد أصدّق كلّ شيء غير بغضكِ لي، وقد أحسن الظّنّ

في حركة الشّفاه غير شفتيكِ القرمزيّتين أنْ يريدا بهذا الافترار الغاضب دحضي، وإقصائي عن محجر عينيكِ.

هنا وبالأمس فقط أدركت أنّك مجنونة هوى، مهووسة عشق، وأنّ عشقكِ المارد ألغى جميع الفوارق في عينيكِ فرأيت النّار ماء تسكبينها في حلقي لأتجرّعكِ معها نارًا أخرى رغم عصيان جوارحي كلّها لداعي قلبي... أدركت بالأمس أنّني في دائرة نارك قد قذف بي الهوى، فلم أخرج منها إلّا بحظّ الاكتواء، ولم أنج منها إلّا بحتميّة الحرق، والانغماس... فدعي النّار تتلظّى بعظامي... إنّني رضيتُ بها يوم أن دخلت عالمك عند فقدان الاختيار لأحبّك حبًّا غريبًا في معناه... غريبًا في مبناه... غريبًا في مغزاه.

ولأحبّك حبًّا أهرب من سعيره إلى جحيمه، ومن موته إلى حتفه، ومن حرّ رمضائه إلى أوار ناره...

ولأحبّك حبًّا أهرب منه إلى قلب امرأة مجهولة الحبّ لي أنغرس فيها بكليّتي، وأدفن رأسي المنحني لجبروتكِ في فيء صدرها لأنساكِ، فانغرست، وعدت، وأفقت بنسيانها وتذكّرك، وسلوها، وحبّك... يا هذه أديري بيديك الباب الموصد من الأمس لتري صريعًا على أعتابه يكرهكِ، ويحبّكِ.

بعيداً عن ظلمك الطَّائش

قررت اليوم أن أعيش بعيدًا عنكِ، وعن مساس ظلمك الطّائش في وجه الحقيقة بصارف جنونه... بعيدًا عن كلّ شيء منك قد يعيد إلى الذّاكرة سالف أيّامك المرّة، ويحكم على البال قبضته العاتية المدمّرة... بعيدًا عن تأويلاتك الخاطئة في حقّي، بعيدًا كلّ البعد عن حديثك الذي لم يذكرْني بخير في غيابي، ولم يرحم بشيء من الوفاء رجعتي وإيابي... بعيدًا عن كلّ شيء يذكّرني بك... بعيدًا عن تصفّح كلّ كلمة خطتها يمناك يومًا لم تعرفني إلّا في صفحة الاتّهام، ولم تكشف عنّي إلّا وهي حاقنة ضدّي كلّ أنواع العداء، والقدح المضمّخ بعبارات السّخط...

أنا هنا لن أقول اشتقت إليك، بل الشّوق يا حبيبتي الظّالمة واحد من جملة أقداري القاسية معك... ولن أقول بي حنين إلى دارك، فإنّ دارك ظالمة مثلك، قاسية قسوتك، شائنة شائنة لكلّ ما بي، رغم أنّ ما بي ليس إلّا أنت بكليّتك يا أنفاس روحي الظّامئة.

لكِ الحقّ

لكِ الحقّ أن تنأي بعيدًا عن حروفي المتبتّلة في محراب حبّك ليشغلك غيرها، وغيرها كثير في منطق العدّ بيد أنّي قليل في منطق الحبّ! لكِ الحقّ فاذهبي لا تلتفتي إليها فإنّها لديكِ من جملة ما يكتب ويدوّن، لا يميّزها في ناظركِ بريق، ولا يصنّفها في راحتيكِ ركن، بل كما أراها تأخذ طريقها في الرّتبة الرّقميّة لتنظر إليها عيناك كلّما لفّها الدّور مرّة مرّة...

والله لك الحقّ! فإنّ غيرها يحظى بسيل ثنائك كمدد علويّ قائم يغدق الكثير، ويكرم بالثناء يمنة ويسرة...

لك الحقّ فأشيحي بوجهكِ عنها وتناسي أنّها حبّات عقدك تتناثر حواليك في بلاطك البلوريّ صباح مساء وأنت تتعبك الالتفاتة إليها فضلًا عن مساواتها في أدراج مكتبك بغيرها... لك الحقّ.

عندك حقّ

عندك حقّ... فقد تعبتِ مني بمقدار خلوّكِ منّي، أنتِ تحاولين طيّ البساط وأنا لا أزيد البساط إلّا انبساطًا، ولا أنوي للفراش إلّا افتراشًا، وكلّما أنهيتِ خاطرة الشّرود قرأتُها لكِ من الغد رابطة الخلود، وكم بين الشّرود ورابطة الخلود من بونٍ يجمع كلَّ بونٍ في بون لا شبيه له إلّا مفترق طريقي السّماء والأرض.

عندك حقّ في ردّك الظّالم... فإنّ ما لا تسدّه الكلمات لا غنى له عن سدّ الطّعنات، وما لا يقف به رادع التبلّد من طرفه المقابل لن يقف به عند حدّه إلّا قصد التّسديد، وتسديد القصد.

أنا لا أنكر أنّ حبّك علّمني تكثر الحاسدين على حرفي، فهو حرفٌ حيٌّ بذاته لسريان حياتك فيه، وما ذنبي أنا وهم يقرءونك فيه كغرّة الهلال، ناطق باشق باسق أنّه لك وحدك. ولا يختلف اثنان مهما مكروا أنّ مملكة حرفي لم تتّسع فتوحاتها إلّا حينما جعلتْك لها النّصر الموعود يا سلاف قلبي وقلمي.

اسأليهم سيجيب لسانهم أنّكِ أنتِ حرفه، ونزفه، وقلمه وسيفه.

عندكِ حقّ... فأنا لا أحسن فهم الآخرين أحيانًا، وقد أتعثّر في أولى خطواتي القلبيّة نحو حسن الظّنّ... فإذا بها خيبة الظّنّ ليس إلّا.

وعندك حقّ في أنّ لكلّ بداية لا توفق نهاية حاسمة أو تمييعًا قاتلًا على مراحل... وهنا تثبتين لي شموخكِ القويّ أمام زوابع التّغيّر، وكم مرّة كان تصريحك واضحًا جليًّا وأنتِ تثبتين فيه خلوّك من دعاياتي الواهمة، وتعولين على فهمي أن يردّني إلى ذاتي قليلًا فقد شبعتْ مساماتي من الأوهام وأكاذيب الهوى.

تمنّيتِ مرّة لو قدمت إليك هجرك هديّة عيد ميلادك، وسعيت ببشريات رحيلي بين يديك لتستريحي من إصرار الوهم حينًا من الدّهر يتحوَّل كذلك أبديّة الدّهر. فكانت آخر ضربة قاسية تعرّضت لها منك لم تصب إلّا المقاتل منّي... لقد كنت موفّقة هذه المرّة، مسدّدة الرّمية ، ثاقبة الطّعنة، فرحم الله الأيّام لا ذنب لها سوى أنّني كنت قدرك يومًا!!

حقًّا نسيتك

تعالي خذي منّي هذه البشرى... لقد نسيتُك، ونسيَك منّي كلّ شيء ما عدا عقلي الشّارد، وقلبي المحبّ الوله، ومقلتيَّ السّاهرتين في مراقبة مجرّات، ومجريات الفلك، نسيتك لكن لم ينسك منّي حلم منامي، ويقظة أحلامي، لم ينسك منّي لساني وهو يفضحني كلّ مرّة في سبق النّداء باسمك إذا حلا له التّخاطب عن بعد أو قرب.

نعم نسيك منّي كلّ شيء! لكن ذكرتْك أذناي إذ يتوارد سمعهما لكلّ صوت قادم في يقين الجازم أن ذاك الصّوت صوتك... إي وربّي إنّه همسك!

نسيك منّي كلّ شيء عدا شعيرات التّنفّس في رئتي وهي تصعد، وتهبط بك يا روحي كلّما مدّ الوجد حبله بين الأذين والبطين، معلنًا حضورك الحبيب الشّافي الكافي.

لعلّك فرحت أنّني نسيتك، حقًّا نسيتك! لكن لم تنسك أناملي ساعة ما تكتبك لعيون الأدباء والبلاغة مدادها، والحبّ حياة حركتها، وقدر التّعلّق آخر تعلّقها... وحقّكِ يا رجائي لقد أعيتني أناملي، بل أيأستني أن تخطّ خطًّا، أو كلمة تعلم أنّها ليست لك روحها، وانقيادها...

أعلمت كيف نسيتك؟؟؟

هل هدأتْ ثائرة غضبك حينما أدركت نسياني لك؟؟

هلا استراحت دواخلك الآن بعد هذا؟؟

وسأنساك كثيرًا كثيرًا... بل سأعتمد النّسيان هذا وصلة ما بيننا، وركيزة معرفتنا، والزّاوية الحرجة التي سيقبع تحتها نسياني لكِ يا حبيبتي.

أناديك بلغات الرّوح كلّها

أإلى هذا الحدّ تشغلك التفاتاتك عنّي؟ وأنا في مكاني أناديك بلغات الرّوح كلّها، وأطوي أيّامي أستعطف البريد يأتيني منكِ برسالة تغيّر من كبرياء رسائلك، وتنزل منها لتصغي إلى صوت شكايتي بين حين وآخر... لكن الرّسالة منك يلفّها التّمنّع بعيدًا عن تمثالي المنصوب في سويداء قلبك، ومخيّلتك يصحو على خواطري وأشعاري المبوّبة بيديك يا منى عمري...

أتصدّقين أنّني أردّ نفسي عن بابك كلّ لحظة، وأغالب طمعًا يحملني لإيقاظك لندائي وأبيت بين خطوة ذاهبة وأخرى راجعة، واستفهامات تطنّ في أذني وحقّك لا أجد لها مستقرًّا ولا سكونًا.

لستُ أدري

لستُ أدري يا ملاكي مَن فيكما القاسي عليّ، أنتِ أم قلبك...! أم كلاكما اتّحد مع صاحبه في رجم القلب المذنب المتمادي في غي التّعلّق، وضلال العشق.

قولوا لها أيُّها النّاس... إذا استعصى على اللسان محو اسمها فهل ثمّة إلّا قطع اللسان الآثم المتمادي في إثارة الشّغب؟؟

وإذا استحال على داخلي ترحيلها إلى خارجي، واستحال على خارجي دسّها في داخلي، ثمّ استحال الأمر على الاثنين أن يتخلّيا عن الرّجف بها لحظة واحدة... فهل بقي إلّا فناء الوسطين العاشقين لامرأة لا تعرف معنى الفناء غير أنّه فاء ونون وألف مهموزة!!!

أحبّها يا ناس... تلك صرخة ردّدها الخافق فسمعتموها، وعلمتم معذّبتي وقدر الغرام معها.

أحبّها هي... وليت في بنات حوّاء مَن أحاول معها نسيانها بها، لكن هيهات هيهات... فما أبين ما بين العرض والجوهر، والحقيقة والخيال... فكيف إذا ملكت بجبروتها الأنثويّ الحقيقة وخيالها، والجوهر وعرضه... أحبّها.

لو ساغ لكِ سجني

لو ساغ لكِ سجني فلا تسجنيني بين مبهمات القلبِ ومفسّرات القالب، وأمسكي بقواطع عقلك شوارد الكلمات منّي لا تخاطبك في حضرة القرب الزّفيري إلّا وتتعثّر ألف مرّة عن جادة المرسوم ممّا ينبغي وما لا ينبغي، وما يصح وما لا يصح... ويحها تلك العثرات كم تدخل العاشق عنابر الجنون غير مرغم عليها كحالة جنوني بك حين تفاجئني رسالتك فلا أقرؤها رسالة إنّما أتعاطها جنونًا ينهي الحالة بحكم واحد لا ثاني له: أحبّك!

وما ضرّ لو كفرنا يومًا بقوالب العقول إيمانًا بتلك الحرّيّة المطلقة المسمّاة جنونًا! أوَليس في طريق الحياة قطّاع طرق باسم العقل مرّة، وباسم النّظام مرّة أخرى؟ أوَليس في جبلة الآدميّة هوامش تعبد، ومقابلها أصول تجحد؟... صدّقيني لو قلت لك: بين الموت والحياة تشابه في سرّ الوحدة، يموت الإنسان وحيدًا قدرًا لصالحه، ولو أدرك لعاش تلك العزلة قدرًا يعانق قدرًا.

أحقّيّة الخلود الأبديّ

جَمعَ هذا اليوم في سجلّ حبّي ما لم تجمعه سنيُّ عمري من أحقيّة الخلود الأبديّ تحت جفن الحبّ الوادع الأمين. ومضى اليوم وبيننا أنفاس متلاحقة الوصلات كلّما ركض بنا نفس ألقانا آخر حتّى غربت الشّمس وأنا أنتظركِ، وأنتِ هناك تعلمين نار انتظاري، بل وتشغلين بي... بذرّات صبري اللاهثة في انتظار رسالتك الموعودة بغروب الشّمس، وقد غربت الشّمس عن العالمين ولم تزل تحرقني بسعيرها وأنا أنتظر يد القدر تقول لي ها هي ذي أتت.

ورأسي مشتعل بألف ألف ظنّ... ما الذي يشغلها عنّي تلك المسافرة مع خيوط الشّمس إلى ما وراء الشّمس، سفرًا يتسخّط على أكفّ الوداع الممدودة يأسًا وقنوطًا!!

يا هذه أوشكت الخطا على النّهاية لكثرة ما أتبع ظلّك من مكان لآخر... لله كم أنت مفضّلة على قلبي شبرًا شبرًا، لو أنّ نساء العالم حاولنَ التسامت على مقاسه لما وجدن إلى ذلك سبيلًا...

يا هذه... هو ذا أنا حقيقة من الصّعوبة عليك أن تتقبليها، ومن اللامعقول أن تستسيغيها... وفلسفة طغت على خليّات عقلك لتدهشها، هو ذا أنا كلٌّ متكاملٌ منكِ أنتِ... نعم أنتِ لا غيرك، فأنتِ وحدكِ سرِ جنوني المفرط، وأنتِ وحدكِ طلسم عبثي الغامض، وأنتِ مهما كنتِ في حلٍّ منّي، ومن جنوني إلّا أنّكِ خارطة الوجود على شبكيّة عيني... فأين منك وعنك أذهب!!!

هي الأقدار...

هي الأقدار ليس إلّا يا حبيبتي شاءت حصرنا في بيت شعر، وفاصلة نثر، وزاوية صفحة من صفحات الحروف الباكية... آه كم يحزنني ألّا ألقاكِ إلّا في حدود هذا النّطاق الضّيّق من أرض الله الواسعة، وأنتِ التي لم تخل منك بقعة في حياتي، وذرّة في تفكيري، وهمسة في مسمعي المرهف الواعي.

آه يا منى روحي كم هي الدّنيا صغيرة صغيرة، لا يمكن أن تتّسع لحيٍّ بعد أن شحّت عليَّ بشبر من الأرض تقفين على منتصفه، وأنا على النّصف الآخر ما بين ناظرينا إلّا حبّ يملأ الأفق، ويسدّ عنان السّماء...

آه يا حبيبتي كم هي الظّروف قاسية قاسية تفتح مصراعيها لتهيّئ نفسها لجميع المحيطين بها، وتضنُّ علينا بثوانٍ هي مقدار ما تتشابك فيه أكفّنا على مجمع الرّوحين، والودّ الأكيد...

سأرحل!!

بعيد هذه اللحظات ستكون آخر اللحظات التي تجمعني بأنفاسك... سأهجر كلّ شيء لك، وأوّلها مداد القلم، وسأودع جميع الذّكريات التي بيننا في مخزن آمن لا أكشف الغطاء عنه أبدًا... ربّما كانت هذه الصّفحة آخر ما تخطّه يميني لكِ؛ فقد أوشكت فكرة الرّحيل تراودني هذه الليلة، وتطنّ في أذني بضرورة التّوقّف عند هذه النّقطة...

كان لي أمل العودة إلى خيمتك الوارفة ولكن بصحبتك، وألّا أدخلها إلّا ويدي في يدك... لكن تمادت قسوة الأيّام منك حتّى غطّت كوني المولع بك، وأهداني منك أنّك منّي بمنزلة حائل الصّدى كلّما ناديتك رجع صوتي إليّ إذ لم يجد منكِ موضع سمع.

أصحيح يا حبيبتي سنفترق؟؟... وآه حينها يوم أن تكشفي عن خطواتي المتوجّهة نحوك فتجدين الرّيح قد سفتْها، ثمّ محتْها وهي التي كتبتْ اسمكِ في كلّ أفق اتّجهت إليه...

سأرحل وفي أفياء دارك بقيّة منّي تركتها منثورة على صدرك يومًا من الأيّام، استحلفتك بساعات الوفاء حينها أن تعجّلي بإحراقها كما أحرقت عصفورها الشَّادي بها على غصنك يومًا...

وما هن بالخوافي على كلّ بصر قرأها أنّ في اكتحاله بها جلاء يحمل صفاتك، ويحكي للعيون جميل خلالك وأنتِ الجمال كلّه لا يقبل الاستثناء هنا بابًا من أبواب النّحو الغراميّ فيك.

وهنّ سطور غفت عيناك يومًا على وسادتها فأصبحت بها ولها بلورة لها من اسمكِ شبه لا تقهقره الليالي مهما اشتدّ سوادها... وهنّ معاني الجمال سطع عليهنّ نورك فحار الأدباء فيها وفيكِ، وضاعت بهم عقولهم بينكِ وبينها، فكأنّها أنتِ عند انبلاج الفجر، وكأنّكِ هي عند إشفاق الأصيل من مخاوف الغياب...

ألا ليتك تودّعينها أقرب حفرة لديكِ علَّ الدّهر ينبتها شجرة تنطق يومًا بما عجزنا عن البوح به، وتشرح حينًا ما لم يسعفنا به عيٌّ ألسنتنا أن نقوله كما خلق في رحم الحبّ تلك البذرة الأولى...

وليتك وبما أنا به طامع تحاذين بها فرجة الباب الذي أخرجتني منه، لتدفعيها دفعة القالي المبغض لأصل وفرعه، وجسد وظلّه، وخيال وحقيقته... فمالك ولها، وهي لم تكن لأحد غيرك، وليس من الضّروريّ أن يطلع عليها أحد سواك، وأنت منها براء براءتك من صاحبها صبيحة هذا اليوم الذي ملأت بكفّيك منّي مقدار ما فرغت من كفّيك منّي...

كيف لي!!

خبّريني كيف أستطيع فصلكِ عن مماسات كوني لأرى الكون مخضرّ الأوراق خارج حدود بستانك الأخضر الوارف!

وكيف لي بتنفّس هذا الهواء المتاح المباح ولو مرّة خارج زفير وشهيق رئتيك! أليست تلك التي أبكتني يومًا من إحساس نشوة حبّها حتّى ظننتني أبكي رهبًا فإذا بي أنتحب رغبًا، وكم بين الرّهب والرّغب من خلايا تحيا على أنقاض أخرى بنشوة الحبّ تموت...

أليست تلك المفزّعة من وعيد حبّي خوفًا من مغبّة الحبّ لا سيّما وأنا باعثه لا يصيب أدنى من سويداء قلبك ليمثلك بين يدي ذليلة في عزَّة من جمال له أحقيّة التّفرّد بين بنات حوّاء. وما ذاق شهد الأنوثة ممّن يعشقها حتّى يقرّرها بمدى حاجتها لحضن الرّجولة كهف أمان، وحضن احتواء.

ألا ما أروعك وأنت تبحثين في محضني عن أنوثتك الشّاردة صبوة لتجديها تكبر كلّ يوم لكن ليس إلّا على مدارج مهد حضني.

وعود الأيَّام

كلّ شيء من حولي مشغولٌ عنّي، حتّى مَن ظننته يومًا من الأيّام منّي كبعضي، بل هو كلّي لولا سرعة تكشف السّرّ الخفيّ... كلّ شيء سوى قلمي بعيد بعيد كأنّما لا أعرفه ولا يعرفني يوم أن كنت أسعى إليه ناسيًا خلفي قالبي لأهبه قلبي، إنّها وعود الأيّام تسرق من ذاتي الغبيّة انتباهها لتشغلها بحطام بالٍ من خرافة ساذجة مضحكة، نسيت معها الإقبال على هيئتي لأصلحها فمضيت... ليت أنّي لم أمضِ، وسارعت بكظ الخطا ليتها لم تكن، وعدت لأجدني هنا مع قلمي نتباكى على عمر ذهب في عالم الأحلام تلاشيًا وضياعًا.

كلّ شيء من حولي مضحك مضحك؛ لأنّ الاقتراب منه إلغاء للبقيّة الباقية منّي في رحلة العمر الكئيب... وكلّ شيء من حولي يفتقد حكمة الاختيار لذاته ليثبت لي أنّه الصّديق الوفيّ، وأين الوفاء في أكذوبة تلبّست أسخف العقول فحوّلتها إلى ركام طالما أبعده النّاس عن طريقهم.

ترهات العشّاق

لم أصدّق يومًا ترهات العشّاق، وتخرصات الشّعراء حول الحبّ، وتفرّده في شفة الحياة الباسمة بعبوسه المقيت، وتجعّدات وجهه النّادة في سلم الهرم العمريّ، حتّى وقفت اليوم وبعد رحلة القلب المسكين في مجاهيل الأقدار لأعلن عن كامل إذعاني لما به يتخرّصون، وما حوله يدندنون، وأدركتُ بعد استطالة السّنين في عظمي أنّ الحبّ عناء الباحثين عن بصيص السّعادة، وجفاء الآمنين في رقدة الأمل الباردة، والحبّ هو الحبّ... قلب أعمى، وإرادة خائرة، وتجارة خاسرة لا يمنى الآمل فيها إلا بالغبن بعد ربحه، والزّيغ بعد رشده...

وما أنت يا قلبي المسجون خلف أسلاك ظلم الحبيب إلّا كناية عن قلب، واستعارة خياليّة لمعنى حياة، وتشبيه بليغ لصورة الرّمز المحطّم فوق منضدة اليأس... وما أنت يا قلبي سوى عمر لا يمهل صاحبه رجعة تصويب لما مضى، ولا يفكّ عن صاحبه حالة حاضرة شبيهة بداء قاتل ميئوس من شفائه يا قلبي... وما أنت سوى مظهر اللحمة الواصلة بين ضفّتي الرّوح والبدن غير أنّها تنفصم لمجرّد اختبار، فمتى سأعترف بك قلبًا كقلوب النّاس يا قلبي!!!

تمرّدي على جبال الصَّمت

أحيانًا أقول ربّما أدركت أنّها ظلمتني! وأحيانًا أعتمد مقرًّا تصرّفك، وأعدّه حكيمًا! إذ لا سبيل إلى إيقاف تمرّدي على جبال الصّمت إلّا بخلق نوع من الصّمت القريب يضمن على أقلّ تقدير تفجير التّمرّد بعيدًا بعيدًا عن حمى الملك المصون.

وأحيانًا أردّه إلى طبيعة محضة لا تخدم الطّرفين إنّما هي لغرض ثالث تجامله نوعًا ما تطييبًا لخاطر، أو طمأنة لتخوّف حاصل... وعلى كلّ حال لم يغيّر من الحال شيئًا، ولم يخفّف غليان القدر إلّا أنّ الغليان بعُد عن عينيك حتّى لا يؤذيها تطاير شرر قطره...

وكان ولازال لأقرب الصّويحبات لديك تدلّل يرغمني على النّكوص لولا منازعة هذه النّفس القتيلة في ميدان عزّتها إذ لا صوت يعلو على صوتها وهي في قلب المعركة.

خطرات البال

أعوذُ بالله من خطرات البال تريني منك إشاحة الوجه، وإعراض الجانب، وصدودًا يلازم نومي كلّما هجعتْ عيني، وقرّتْ بالرّضا نفسي، ولاأزال مفرّع النّوم، مسهد الجفن، يحاربني هذا الخيال المخيف بتغيّرك، وإعراضك... يا له من خيال شنيع أنّى لبقايا قلب احتماله، أو التّعايش معه!

مروّع بالصّدّ أنا، لا أكاد أخلو بمَن أحبّ حتّى تقضّ تلك الخيالات هجوعي، وبيني وبين دار حبيبي مسافات من الظّمأ، والجوع، والعري، ومسافات من قطع الأنفاس مازالت تقطع زفيري عن شهيقي، وتنأى بدقّات قلبي بين كلّ دقّة وأخرى مسيرة ما يرد خاطر حديثه على قلبي، أو يرحل.

ويصدّني عتبه عليّ في نجواي فلا السّمع كما عهدته، ولا الإقبال كما عرفته، وكلّ ما حولي متغيّر من حالة إلى أخرى لأنّ حال مَن

أهوى متغيّر، فلقد غيّر حياتي بحيث لا أجد للماء خاصيّة الماء، ولا للطّعام صفة الطّعام، ولا للهواء إنعاش الرّئتين كما عرفته...

عاتب علي حبيبي، وحقّ له! ومعرض عنّي حبيبي، وحقّ له! فوحقّ شهد حديثه في حلقي ما رأيتني مرّة في جانبه إلّا موسومًا بالتّقصير، معروفًا بالبخل والتّقتير... وما رأيت عربون حبّي إلّا أن أجرّ بين يديه روحي منقادة، وعيني في هواه غائرة، وعيشي معدومًا محرومًا محمومًا... حتّى يرضى علي حبيبي.

مثل بـارق الشّرق

لا يدلهني شيء كما تدلهني أنثى بين سيفي شفتيها مثل بارق الشّرق يلمع خطفًا حين تبسم، ويخطف قاتلًا حين تضحك، وما بين ضحكتها وابتسامتها يفضح ثغرها عقد اللؤلؤ المنضود خلف حظيرة الورد الرّيّانة النّديّة. فواعجبًا للورد كيف اتّسقت مناضده، وواعجبًا للؤلؤ كيف شكّل مع حظيرته الورديّة قزح أسباب العشق الآدميّ.

وما بين ابتسامها وضحكها تتعالى شيئًا فشيئًا في إثبات فواصل الجمال الأنثويّ المغروس نصله في عقل الآدميّة وقلبها، فلا تبسم حتّى تأخذك في ارتقاء علويّ يتموّج بك تموّج ضحكتها الورديّة السّاحرة كالرّيشة الخفيفة تتموّج مع طبقات الجوّ الهوائيّة فاقدة كلّ اتّزان، كما تفقد اتزانك وأنت بين أحضان ضحكاتها، بل بين أنصال سهام جمالها إن نزعت من خاصرتك سهمًا أخطأك آخر فرقد في سويدائك لتنسى في معركة حسنها النّسيان ذاته.

عبلة المشغولة بغير عنترها!

عليكِ حلفتُ ألّا تولي غيري اهتمامًا حتّى تسدي قرص شمسي بطرف فستانك المارق من ربقة المعقول؛ فإنّ شمسي السّاطعة بعظمة جذوتها على عالمك السّاكن في الجهة الصّنوبريّة من مجمع أضلعي محال أن تدع لغيري هنا اختيارًا، أو قدرًا ومآلًا. وكيف يكون ذلك كذلك وأنا حين أحببتك دخلت معركة حسنك عنتر الميدان يا عبلة الملك الفاتن، وصال بي الميدان بينهم فلم أجد يا"عبيلتي" إلّا سمائي وسقف ظلّها، وشمسي وجذوة سعيرها، ثمّ هدرت سحبي الغاضبة لتشدّ يديك إلى يدي فأراك فوق شعيرات صدري تبنين ممالك الفردوس لأزمنتك الثّلاثة.

كنت في مخزون الغيب عبلة تنتظر عنترها وشبق الشّوق يقسم قرنية عينها قسمين... قسمًا يسكنه ليلي والآخر مهوى نهاري، فبالله عليك حين يطير بعوض الرّواكد فأيّ ليل سيحتويه، وأيّ نهار سيرتضيه وكلاهما في قبلة حرفي هذا كلّما أصبح صبغ شفتيك بي وإذا أمسى شرنق كلك بي!

لا ترقبيني

لا ترقبيني بعد اليوم أجمع لك أسرار الليل المعتملة في داخلي لأرسمها لشفتيك أوّل الصّباح فأبتدرك بصباح الخير يا حبيبتي! لا لا تسألي بعد اليوم خيوط الشمس عنّي إنّني تبرّأت من الشّمس كليّة أن تمنّ عليّ بشيء من دفئها وأنت هناك يشرق حلقك بكلمة التّوديع تبثينها لي كلمًا مثل الشّوق بي في بلاطك الظّالم الظّالم.

قلت لكِ بالأمس لن أتنازل عن عزّة نفسي مهما كلّفني كلَفي بك، ومهما تفننتِ في صياغة قصيدة الوداع لي، ومهما حلا لك شرح بنود قطيعتي وأنت تلوّحين لي بكفّيك الخاليتين منّي صبيحة هذا اليوم. لن أسقط من أنفة نفسي حرفًا واحدًا وإن كنت في حبّك الظّالم أسقطت جميع أبجديّات قوّتي، وتماسكي حتّى جاء اليوم الذي أمدّ يدي فيه لأسقيك كوثر روحي فتقتلني كفّكِ وهي ترفض الإناء من يدي وتقول لي هذا مكانك الحقيقيّ فقف به.

هل جرّبت مخارز الحديد بين لحم الإنسان وعظمه وهي تفي بثاقب طعناتها فيه؟ تلك هي صبيحتك اليوم حينما أسكتت في داخلي صرخات الشّوق، وأخرست منّي مجرّد التّحيّة، فلا المكان الذي كان يجمعنا، ولا الشّوق الذي كان يغرقنا في بعضنا شفعا لي اليوم لديك برجعة، أو وعد همسة يا حبيبتي.

صدقي ولا تصدقي

كيف صدّقت تخاريف الأيّام أنّ بمقدور قوانا إجراء هذه الفواصل المضحكة بيننا وما كانت سوى تسلية نخلط بها الحديث بيننا حينما نفرضها فرضًا، أو نتخيّلها تخيلًا.

ما عرفتك يومًا تصدقين أماني الأيّام لتري أحشاءك خالية منّي، وأجدك مفصولة عن دقّات قلبي، وشرايين دمي، وآهاتي الليليّة لطالما تصاعدت بيننا وأنت أقرب إليّ منها، وأنا أقرب إليك منك.

كيف تصدّقين حلمًا كاذبًا اختلقه وهْم هو منه أكذب، وفي الليل لنا رصيد من بناء مدن الحبّ وإيقاد شموع الشّبق الليليّ على شرفاتها كلّما ارتسم بصيصها في عيني تجاوب معه ذات البصيص في عينيك. ونحن حينما نغيب لا نغيب في هجوع الليل حتّى يملأ الليل من عطرنا جيوب أنفه فينسى كتل العشّاق بعطرنا النّافذ المسيطر على كلّ أنف تعرض يومًا لموجات شذاه الليلي المهيمن.

أما زلتِ تصدّقين ماكر الغياب، والهجر، وأنتِ مَن تعلّمتُ من حبّها نقلات الحبّ من رفات البدن ليحيا جديدًا حديدًا في سبحات الرّوح الحرّة الطّلقة من قيود البدن!!

أتصدّقين!!!

صدّقي ثمّ احذري أن تصدّقي!

متى يستغني الشّفق عن حمرته!!

أنا فصيلة أحاديّة الوجود في دمك فلا تخلطيها بغيري حتّى لا يكتوي دمكِ بنار الكذب المحرقة بزيفها، الغبشة بمنظرها، ودمك هو هو لا يجري في شراييك إلّا صادق الدّفق، صادق التّكوين يا حبيبتي.

يا الله كم يستغيث دمك من شرّ يديك تحاولان مزجه زورًا بغيري ويأبى إلّا أن يرسمني في صفاحه رسم اللون ناقعًا في وجه الشّفق... لا تبديل حتّى يستغني الشّفق عن حمرته وهو المستحيل عقلًا ووجودًا يا حبيبتي!

يا لها من يد ظالمة يدك تعبث بخرز تاجي الذّهبيّة لتستبدله بقطع الحديد المصدية ثمّ تدعي أنّ التّاج على مكانته لم يتغيّر... أيّ ظلم ليدك المبسوطة بي، الحيّة بنبضي، الفانية بحبّي تجرم في حقّ التّاج الذي رصعناه معًا، وسبكناه معًا، وخرزناه معًا، وغطيناه يومًا بأكفنا لئلا يصيبه المطر فيتوحل بشيء من انزلاقات الطّريق يا حبيبتي.

افرحي... لكن أحاديّة الوجود في وجودك لم تستغنِ عنّي، فإمّا أن آخذك معي أو تأخذيني معك، وكذب مَن قال: سترحلين بدوني..وسأبدأ خطوات الدّرب بدونك!

تفاصيل رحيلك

أخبريني عن شيء من تفاصيل رحيلك، فأنا الجاهل بالرّحيل وتفاصيله، وفلسفته وأبجديّاته، وكيف لي من علم به وما تسلل إلى خاطري مذ عرفتك إلّا وطردته هواجس التّخوّف من بعدي عنك... ما نتيجته، وما طبيعة عذابه لو شطّ بي بعيدًا بعيدًا عن حقيقة رؤياك الموهوم بها قلبي مذ كنّا خارج أسوار العقل.

لأوّل مرّة أتلو رسائلك الأخيرة فأجدها تودّعني عضوًا عضوًا لأنّ في شبكيّة عينك رسومًا جديدة لا تزيح منّي عضوًا حتّى تحل محلّه البديل الجاهز المرتب بأدقّ صنع، وأجمل نظام. أنا لا أنكر أنّني عشتك عشقًا لم يسبقه ترتيب نسق، هو حبّنا الذي أنكر القبليّة كما جحد البعديّة، وهو كذلك حينما ارتضيناه خيوطًا تنسج لفافتها بنفسها... ثمّ عدت لتقولي لي: هو ذنبك وحدك القاضي بأن نعيش حبّنا في قلب الصّخر، وخيوط السّحب، وعقود جدائل الليل المظلم.

أوائل عشقنا

اليوم أنت أمام إجرامي بحبّك، ومباحات الأوضاع بحالك لكأنّي بك تحنّين إلى إجرامي وخطأي بقدر ما تتبلّد حواسك أمام مباحات الأحوال لديك، وقد أكون واهمًا لكن حقيقة تنهداتك الأولى بين شفتي لم تدع لمباحاتك تلك فرصة استئناس، أو تغيير وجهة نظر.

إنّ الأوائل من أبكار عشقك ما استهلكت بنياتها إلّا وهي تثب من كفّي إلى الأخرى، فعلام تعاكسني أيّامك الخدّاعة لتخلق فيك من جديد أوائل العشق والحال أنّ الأوّل في عداد القانون الأنثويّ لا يعرف إلّا النّشأة الأولى لا غير.

أتراك - وأنتِ بذاك عليمة - محوت من صفاح خدّيك المطبقين على لفائف الورد أوّل قبلة خديّة، وأوّل قبلة شفويّة، وما صاحبهما من أوائل الضّحكات، وقبل ذاك أوائل الابتسامات، وبعد ذلك أوائل سكرات الموت التتيمي لتفيقي بعد أوائلها بأوّل إحياء وهبه لك حضني ذلك الكوكب الذي لم يسكنه غيرك يومًا.

وهكذا أخذتك الحياة!

وهكذا أخذتك الحياة في طيَّات تكوينها الرّتيب البارد، وأقصتك عنّي بعيدًا تعلّمك كلّ يوم درسًا من الصّبر عنّي وحالك كما هو في لهفته إليّ متمرّد على برودة الأيَّام، وصقيعها. وأنت مَن اخترت، وأنا مَن قبلت، وما بين الإيجاب والقبول تتربّص الأيَّام بنا غربة جديدة؛ لأنّك لست لمكرها، وأنا لست بالغرّ المخدوع بضحكة عينيها، حيث النّقاب المواري قبحها المستور.

لا أخفيك فكرت كثيرًا كيف ستقضينها الليالي أوان غياب بدري عن بريق عينيك فيها، وفكّرت كيف ستقسمين كيانك لأوّل مرّة بين روح وجسد لتفاجئك الأقدار أنّك من المستحيل وهبهما معًا لأحد غيري. وتلك هي عاقبة الجهل بالرّوح حينما نقطع ماء حياتها لتموت تحت تفرّد سلطان الجسد ميتة مشاعري ساعة خنقها بيديك الكاذبتين.

وللحقّ إنّني مت بعدك، بل لم يعد لديّ في عالم التّمييز بعدك خيط أفرّق به بين الموت والحياة، ورغم عملقة خزانة ذكرياتك في عالمي الصّغير أبى قلبي إلّا أن يعيش خارج محيط الحياة والموت.

داعبيني بلوعة الانتظار أكثر!

داعبيني بلوعة الانتظار أكثر! فإنّها خاصيتك بها عرفتك، تبتعدين بقدر ما تقتربين، وتعاتبين بقدر ما تشتاقين، ولا تطيلين أمد القبلة بين شفتينا حتّى تقدّمي لها بمقدار سخونتها من ولع النّظر، وسعار الاضطراب المبهم في لغة وروده كما تبهم لغة الطّفل أمام قواميس اللغة حتّى يثبتها بجسّ يده الصّغيرة جهة ما يشتهي، وهو كذلك مثلك حينما يبهمك اضطراب الحبّ فلا تجدين له شرحًا وإيضاحًا إلّا باختلاط ابتسامتك بدموعك في لجّة الاحتضان بيننا.

لا تستقيمي على درب الحبّ تعقلًا فإنّك جنون صرف لا يمكنني فهمك إلّا مجنونة فقدت عقلها تارة بين رياض أشعاري، وتارة أخرى بين ذراعي أشواقي. وأقبلي عليّ بهذا الاضطراب الدّائر مع الكرة الأرضيّة في دورانها الطّبيعيّ، والمنطلق مع شهب السّماء حين انقضاضها، ومع الشّمس والقمر وعملقة الأنهار ساعة جريانها.

إذا عاش الحبّ خارج مستقرّه

هكذا نحن أفضل، وأجدر بحبّنا الغالي أن تعيش جواهره في أصدافها... في بريقها قبل أن تعبث بها أنامل المألوف ضمن دائرة ما ينبغي وما لا ينبغي... ومتى عاش الحبّ خارج مستقرّه أسقط مجمل جماله فرآه أهله باهت الصّورة، ممتهن النّضرة فتركوه زهدًا، وأنفوا مجاورته تخلّصًا.

هكذا نحن أفضل؛ فقرارك الأخير علّمني أنّكِ لستِ قاسية كما يظنّك قلبي، لا كما يتفرّس قرارك عقلي، وبينهما من رسم خارطة الآتي تنافر أيّما تنافر، فدعينا يا حبيبتي هكذا كما أبرمت عهدك الأخير بعيدين تتناجى أطراف أناملنا دون مماسّة أو لقاء، وألثم شهد شفتيك دون رؤية، ونتداني قربًا لكن دون مزيّة القرب. وأنتِ على حقّ أن يعيش حبّنا شمسًا بلا ضياء، وليلًا بلا قمر، لو أنصفناه ما أنصفناه كقرارك الأخير.

أتراني كنت أطلق لأطماعي فيكِ كلّ عنان فلا يبقى من طمع يعتمد على عصا منك إلّا وتكسرينه قبل كسر العصا، أتراه كيف يمشي إليك كسيرًا تحمله عصا أشدّ منه وهنا! وهل لطمع واحد لو كسر من أسف وملء فمي أطماع عمر بأكمله... من أفاعيل حبّك بثثتها في مسمعك واحدة تلو الأخرى فحطمتها يداك جملة واحدة!!!

مكر المارد

متى أستريح من مكر هذا المارد المتربّع على عرش تفكيري يلقي بي في مستقرّ حضنك لأتعذب بك مرّتين... إحداهما عذاب العيش معك، والثانية قصّ أثرك في كلّ بقعة تلوّنا فيها آيات الحبّ الأوّل وقدر استعبادك لي لم يزل في ألفبائيّة الحبو.

أنتِ امرأة لا تستحقّ شيئًا ممّا بي حتّى أصرف إلى قبلتها جميع قبل شفتي... ولا تستحقّ من زفرات الليل زفرة واحدة أنفّس بها عنّي من وطأة الشّوق إلى جمال لم يخلق الرّحمن مثله في سواد عيني. وأنتِ امرأة لو عددت النّساء كانت في خانة الصّفر لدى قاضي العقل لولا أنّها أذاقتني من سلسبيل ريقها كلّ ما غاب عن التّصوّر الإنسانيّ من النّعيم السّاحر السّاحر...

يا الله كم أودّ أن أقرأ فيك كلمة عيب واحدة تكون افتتاحيّة نفرتي منك فلا أجد، وكم لكم أطمع أن تشاركي الإنسانيّة في مبدأ النّقص بغية أن أحرّر خاطري من قيد عبوديّتك فلا أجدكِ إلّا كتحدّي الشّمس لمصابيح الإنارة لتظلّ الشّمس معبودة كلّ المصابيح تحدّيًا وإثبات وجود.

كم أناديك!!

كم أناديك!! ولو حملتِ الأرضُ الواسعةُ ما حملتْ (كمْ) هنا لما وَسِعَها مشيُ حيٍّ على ظهرها... كم أناديكِ! وما بين الخافقين يتردّدُ صدى ندائي معلنًا يَبَسَ اليبابِ من سُقياكِ، وتذمُّرَ السَّرابِ من ريَّاكِ، واستغاثةَ القفارِ من هجر خُطاكِ... وكأنّما أرتالُ النّداء تحوّلتْ برياح صمتك الباردةِ صقيعًا تحطَّمَ على أسوار امتناعكِ فلم يرْقَ شاهقًا، ولم يفترشْ منخفضًا... ناديتكِ كالسّابرِ أغوار ذاتك يستحثُّها مَقيلًا من هجير الأيّامِ، أو قنديلًا في دامس لياليها الموحشة، وكنتُ على إثر النّداء حالمًا بكِ خيالًا آهِ ما أجمله... وآه ما أحنَّه وأعطفه وأحلمه. ملأتُ منه على حينٍ من الدّهر يدي، فمضى الدّهرُ ولم أمسَّ منه بَشَرًا، أو أجسَّ منه شعورًا، أو أبلَّ منه شفةً حتّى كدتُّ من فرط تخيُّلي أنتزعُ منكِ النّظرَ انتزاع خيط الذّهب من الحجر الأصمّ الأصلد، وأستحلبُ منكِ الانتباهَ لي استحلابَ الغيثِ من عين الشّمسِ المحرقة مختلقًا صُدْفة اللقاءِ اختلاقًا، ومتذرّعًا بغلطة اللاقصد تذرّعًا..

أقولُ: هذا حالي الشّاردُ إليها عن غيرها هل راعها؟؟ لعلّه راعها! وأنثني متسائلًا: هذا حرفي وذاك بوحي ونزفي... قصائدي... وأشواقي... خواطري وتعلّاتي... هل رأتْها؟؟ لعلّها يومًا أبصرتْها!

ما لها لا يحرِّكُها انقطاعي إليها! ما لها لا يُوخزها تملُّقي حيالها، وتعاهدي شئونَها! ما لها لا يزجي عنانَ مركبها تعرفٌ على حال غريب آلَمَ الألمَ من عارم الشّوق إليها كيف أقولُ عدمتْ مشاعرُها وهي التي استعبدتْ حرفي حتّى صار من جُملة خدمِها وزمرة حشَمِها!! وحاشا أن أقولَ تبلّدتْ مكامنُ الحسِّ منها وهي التي شرحتْ معنى الإنسانيّةِ في سطورها، وعلّمت الجمادَ معنى الحياةِ من خلال حروفها!... ولولا موانع جشَّمَتْني عناءَ الاكتفاء والتّريُّثِ لما أشبعتُ من حلو وصفكِ أذواقَ الأدباء، ولأمطرتُ محافل الأدب أحلى ما قال عاشقٌ في أحلى ما خلق الرّحمن وأبدعَ، ولطفِقتُ بكِ أكتبُ، وعنك أستقصي وأقرأ، ولكِ أغنّي وأنظم، وعنك وفيك ومنك ولك أشغل الفكر وأملأ أرجاء الفؤاد.

كم أناديكِ! وفوق كلّ بقعة بنيت من خيالك تمثالًا شاهدًا، وشيّدتُّ لكِ من حُصَيّاتِ الرّبى قصورًا وقصورًا، ومن نقا الرّمل ملاعبَ ومرافئ سرعان ما سفتْها الجنوبُ فصارتْ في قائمة الذّكرى طللًا شاهدًا... ورمزًا بلسان حبّي ناطقًا...

وما زلتُ ــ أميرتي ــ أكذّبُ في تأويل صدكِ كلَّ الظّنون، فإن غلبني ظنٌّ استدعيتُ من الآمال ما يجنَحُ بي بعيدًا عن كلّ شيء إلّا أنّك محبوبتي النّافرة، أو أميرتي الآمرة، مهما طالَ في تودّدي لها ندائي، وتمادى في رجائي لها صبري وبكائي.

أميرتي المتلاهية... ليس لِشَبَقِ الحُبّ قيدٌ يكفُّ عن درب المتاعب انطلاقَه، ولو كان له قيد فكم من القيود يلزمه والحبّ في خلد العاشق أشدُّ انتشارًا من الحَبِّ في عرصات الأرض المبذورة، كلّما رام له تقلُّصًا ازداد فيه تمكنًا وتعنتًا، وما الحبّ إلّا تقرير البصر لداعي البصيرة حتّى إذا طاف طائفه بحيازيم الفؤاد صار كلُّ شيءٍ لجلالة قدره تابعًا مملوكًا.

فحنانيكِ – أيّتها الأميرةُ – لو انقطعَ دون حدودكم صدى ندائي، فرجع خاسئ الطّرف حسيرًا، فوالله ما أبقيتُ من سُلاف النّسيان رشفةً إلّا أدمنتُها محاولةَ انتشالِ لما تبقّى لي من مُزعة كيانٍ، ولعاعة جنان، بعد أن أهرقتُ في تتبّع خطاكِ ماءَ اصطباري، وعصارةَ تجلُّدي، فرجعتُ منكِ كما رجع المشرق من لقاء المغرب، وعدتُّ من سفري إليكِ عودَ الأيّام لأمْسِها الذّاهبِ، وهنا وجدتني عنكِ أحكي قصةَ ذات طَرَفِ واحدٍ هو أنا معكِ، مفتقدًا طرفها الآخر هو أنتِ معي.

على هامش خصامنا الأخير

رويدك تمهّلي يا معذّبتي... والتفتي قليلًا مستأذنةً شرنقة الصّمت الحائلة بيننا ونحن في ظمأ إلينا أشدّ من ظمأ الهواجر على شحّ السّقيا. وانظري إلى أقدامنا القاطنة على هامش خصامنا الأخير! وكأنّها عبرات يتيمة سحّتها مدامع العين في قسوة من أبوّة، وشدّة من أمومة، فتبوأتْ ساحات القطيعة منزلًا ومأوى، وتفيّأت بلاقع التّوديع ظلًّا لا يعرف انقضاءً، ولا يرد على مستغيث جوابًا... ونحن الاثنان – يا حبيبتي – ها هنا تأكلنا غربة بعد غربة، كلّما تشبّعت بنا واحدة جدّت في طلبنا أخرى وبقينا على هذا الهامش مثلًا تحكيه الدّموع، وعبرة تتناقلها موجعات الليالي الحزينة.

ألا لا تستعيدي اليوم من مخزون الذّكريات لنا همسًا ولا وسمًا، ولا تسامري في موحشات الليل لنا خيالًا أو حديثًا سالفًا... فلقد مضت الذّكرى بحملها الثّقيل المملوء بألوان الحياة وأشكالها،

وامتطت بما فيها قافلة الماضي، بعد أن ارتدتْ سواد حداده غير مكترثة بموتنا... بوأد أحلامنا... بدفن أمانينا... بنثر البقيّة الباقية من ابتساماتنا في جبّ الحبّ الكئيب.

وإذا مررت يومًا على مرفأ لقائنا فلا ترحمي أنينه أو بكاءه، ولا يسترقنّك بجؤاره وحنينه، فلم يسلم هو بعد من وقوفه السّئم على هامش خصامنا الأخير. وإذا ما ردّد قلبك حروف اسمي الباهتة، وأعاد عزفها على أوتار الخمائل في بلج الصّبح الجميل فاحذري أن تردّديها معه كما كنتِ تفعلين، فلقد تيّمها ثغرك يومًا، كما أماتها هجرك اليوم...

حبيبتي: كم غيّر الخصام من مشيّدات الغرام! وكم أحالها خرابًا بعد عمار، وكم أقرّ للحسّاد والعذّال عينًا، وها هم أهل الحبّ بين صريع آثاره، وحبيس ناره... إلّا أنا وأنتِ فما غيّر الخصام منّا إلّا ما غيّرت حجب الغيم من عين الشّمس، وما أكل من حبّنا شيئًا إلّا وعوّضناه حبًّا يملأ الدّنيا جمالًا وكمالًا... لكنّه حبّ درج الصّمت عليه فغطّاه بغلالة من برد وصقيع استشعرتها فيك الآن وهي تطوّقك وتلفّك من الرّأس إلى أخمص القدم... وأنا أطوي إليك القفار طيًّا، وآمل في الصّخر ينفجر لي عن عين من الودّ جارية، أبحث عنكِ في طيّات الأماكن غير مبالٍ بعلامات التّعجّب والاستفهام، وكثرة

تطويقي بالأقواس وأسوار التّنصيص... حتّى أتيت نازلًا على مقربة منك، لا تبعدين عنّي إلّا بمقدار خطوتين يسيرتين، كلّما أرسل القلب لك نبضة هرعت إليه مستطيرة البال، تترجّلين إليه في خفّة الطّائر وسرعة الضّوء، تسمعين صوتي ولا تخالطين شفتي بلآلئ ناظريك، وتعدين آثار قدمي ولا تحتضنين خطوهما بمراهف مسمعيك، وأنا - وعلى قربي منك - أصانع الشّوق مدافعة، وأغالب الحبّ تسكينًا حتّى لا أصرح باسمك الغالي فأقطع أكباد الحاسدين تقطيعًا، وأفري قلوبهم فري الأديم بمشارف السّكين.

وعلى رغم قربك منّي تمرّ بي ساعات الخصام مرور الجبال الرّواسي، كلّ ساعة تمدّ جذورها من بدء الخليقة إلى آخر يوم في دنيا النّاس، ولو قدّر لي انتظار مرورها لطلبت على تقدير العمر عمرًا آخر، فما أطولها على قلب امتزجت مادّة حياته بحضور محبوبه لديه!... ومع كلّ ذلك فاسمعيها واقرئيها، وقفي أمام حروفها الآن في صمت يسير... أحبّك.

قسوة الذّاكرة

سفر الخيال عبر رسالتك

ومع رسالتك سافرتُ بعيدًا بعيدًا تاركًا خلفي دنيا خالية منّي ومنك، وفوق السّحاب هناك التقينا يدي بيدك، وبيننا ابتسامة متبادلة أهي فرحة المفاجأة؟ لست أدري... فلعلها سخرية من حال تأخر في جمعنا، أم تلك ابتسامة النّصر على كلّ ظرف، على مسافة حالت بيننا يومًا! أم ماذا؟ لست أدري! وعادت الابتسامة من جديد تحيل وجهك بين السّحب قطعة من القمر أشرفت من علو على الأرض فأغضبت الظّلام، واصطلحت مع وجه الأرض الكئيب ليولد من جديد بنور وجهك... بضحكة ثغرك... بعاصف شَعرك... بأمواج العقيق في شفتيك الغارقة فيها شفتاي ولا مخلص ولا منقذ. وكيف أطلب الخلاص ممّن أغرقتني فيها لتحييني، وتيمتني في ذائل ثوبها وهو يتغشّاني ليخفي بصري أن يمتدّ لغيره، وما أجده من كئوس الصّبر في بعدها يواسيني الرّجاء، هاتفًا في خلدي: ستراها وستحقّق غرقك في بحار قربها حتّى تستهوي الغرق في قاع بحر لا إنس يجرؤ على غوصه، ولا جنٌّ يحتال ليصل إلى عمقه.

رسالتها والغصن الأخضر

جاءتني رسالتها ذات يوم وقد رسمت اسمها فيها على شكل غصن أخضر في شجرة وأجرت تحته نهر ماء يحيط به... فرددت على الرّسالة بالآتي...

الماء... وحوله بسطة من اخضرار اسمك تخبر مخضرّةً عن اخضرار قلبك، وقلبك دون قلوب النّاس يضخّ مادّة الحياة الخضراء لجميع قلوب البشر... فلا تعجبي لو استقبلت الحياة من رؤية اسمك المجرّد من شوائب الألوان، وبه وحده أينعت الدّنيا في ناظري جنّة خضراء ممرعة من مائك تستقي، ومن اسمك الأخضر في سلم الحياة ترتقي.

أحبّك يا مَن يزيدك وصفي اخضرارًا، ويزيدك تملي عيني عينيك احورارًا، ثمّ يزيدك حرفي الواله على طول الأيّام أنفة واستكبارًا. أحبّك حبًّا يتندى بملامسة قميصك الأخضر غيثًا عاطرًا كأنّما غازلته سحابة من مسك، وساقته رياح من عود ندي يخضرّ باسمك، كما

يخضرّ العود بتعانق السّحابة مع هفهفة الرّياح السّاجية في ليلة مطيرة. وأحبّك حبّ اللون الأخضر العاشق منك اسمك، ومسمّاك، الكريم كرم يدك الخضراء، الوفي وفاء طبعك المتّصل بالسّماء ترفعًا، وبعمق البحار تجذرًا... وسأظل أحبّك كطير ينتقي من الأفنان أخضرها وإنّك لأخضر الأفنان نضرةً، وما طار الطير إلّا بحثًا عن عود فصيح بلغة الخضرة، وإنّك لأفصح الأغصان إذا ما تمايلت بأنسام الأصيل تغنّي للوجود خلود الاخضرار في دنيا غبراء جرداء إذا ما غاب اسمك عن مرابع محياها... أحبّك بأبديّة اللون الأخضر في رعاية الجمال على ظهر الحياة!!

دموعي الخادرة في مهد الذّكرى

لا تسأليني عن دموعي الخادرة في مهد الذّكرى... هل بقي من راحم لنا سوى هذه الدّموع الغارقة في سجّين الذّكرى الجميلة! تتوارد ذكَرك على خاطري توارد الدّمعة على خدّ اليتيم كلّما ذكرته الأحداث أنّ ثمّة غائبًا في التّراب أخذ معه زهور السّنين الأولى من عمره فعاش بعد الفقد غصنًا بلا ورق، وورقًا بلا زهر.

كيف أنساكِ يا ليلًا في حياتي لم يغب فيه القمر... وما الليل إلّا مواعيدنا لمّا غبنا بها عن العيون وارتنا كثيرًا عن الرّقابة فصنعنا دنيا تختلف كمًّا وتفصيلًا عن دنيا ملئت على العشّاق صخبًا وضجيجًا، وذهبنا مع الليل عرضًا وطولًا، وسبحنا مع البحر، وحلّقنا مع الغمام، ونزلنا إلى جمع القطيع نرعى غنيمات الأهل وللحنين في قلبينا أشدّ حمرة من وهج الشّفق المشفق على حالنا يا حبيبتي.

ويبقى الحبّ

ويبقى الحبّ رغم ما أبرمنا من عهود واتّفاقات، ورغم تضاريس الليالي التي مرّت علينا موحشة قاتمة السّواد لا يجليها قمر، ولا يجملها لقاء، ورغم قسوتنا على قلبينا اليتيمين لا أب ولا أم، ولا يد تمسح على رأس اليتيم ساعة ابيضاض عينيه من دمعة تظلم، وابتسامة إشفاق...

ويبقى الحبّ يا تلك الرّاحلة إلى لا رجعة... يبقى رغم إنكارنا لبعضنا مهما جمعتنا زوايا الدّروب، ومهما ضمّتنا حنايا المجالس، وكأنّنا لم نعلم الليل يومًا مسارات السّهر، ولم نشرح للبحر قصّة أوّل لقاء، بل شهقة أوّل ضمّة بين خافقينا المليئين منّا... يبقى الحبّ رغم ذلك، ورغم كسر جميع الخطى بيننا، ورغم جفاف كلمة الحبّ على شفاهنا بعد أن كانت تمطرنا قربًا لنمطر ثواني اللقاء بيننا قبلًا كلّ قبلة تحمل من الزّمان سنة في ريّها، وعمقها.

ذكرى عزيزة

اليوم عبرتْ محيط الذّاكرة ذكرى عزيزة ترتسم بها مرحلة من مراحل العلم فوق مفرق هذه الرّحلة الممتدّة من شعرة القلم، إلى هامة العَلَم... وليخلد القدر في عمق الأيَّام معنى من معاني الخصوصيّة لهذا القلم الشّاذ في عالم الاستقامة، الشَّائك بفلسفته أمام كشف الإبهام، ومرأى الأنام.

ولقد خيّل إليّ أنّ العالم نسي تهنئتي حينها لتستفردي أنتِ وحدكِ بها دون العوالم كلّها، فأنت هنا محيطة بكينونتي مهما اتّسع مدى قطرها، وأنت هناك محيطة متسامتة مع نظرتي مهما امتدّت خيوط بعدها، وعلى منصّة مناقشتي العلميّة رأيتك في موقف من مدد المعنويَّات لا يقوى على زحزحته شيء، فحينها لم تلجئني الحيرة إلى زاوية انغلاق ووجهك قمر كلّ الزّوايا في حياتي، وحينها لم يدفعني اليأس إلى مضيق الجمود وكفّاكِ تشرحان لطائف النّرجس لخلايا وجنتي... فطفقت أمتطي كلّ حرف من رسالتي كصهوة جواد ذلّ

لكبريائي، وانقاد لإبائي، لا أرى أمامي عذرًا لاستكانة، ولا عرفًا يبيح لي الرّجوع إلى الخطوط الأولى لبدء انطلاقة المجد العلمي فوق منصّته.

قلتِ لي: هنّأني اليوم الوجود بأسره بك، وتجمع كلّ ما تشرذم من معطيات البهجة لينفرد فوق شفتي تهنئة ما ولدتها ذات ثديين، إنّما ولدتها الدنيا كلّها لك... فهنيئًا لي بك كلّما غنّت أطيار اللقاء أهزوجة الشّوق بمعازف المواجيد.

طفلة تتهجّى كلماتي

كنت طفلة تتهجّى كلماتي على حين متابعة لها من مكان لآخر... وما كان تهجيًا بقدر ما هي فطنة الطّفولة يلفّها شيء من حبّ، ويتعهّدها بعض من حياء، وكنتِ تقفين على قصائدي، وأدبيّات قلمي وقفة المتحيّر باحثًا عن مفتاح الكشف بين ركام من مشاعر، وأبجديّات من تعاليم مجهولة الهويّة، بيد أنّها آخذة في التأثير، وأمضي في كتاباتي، وأنتِ تمضين في حيرتك، وكأنّما تستجمعين قوى الحيرة تلك ليوم موعود تجلسين فيه الأنوثة لأوّل مرة على مقعد من تلمذة مرغوبة...

وتمضي الأيّام لتكون زيارتي لـ ... كشفًا من نوع خاص، يبحث عنكِ هناك على غير سابق موعد، ثمّ يلقاكِ على غير سابق إعداد، وهو حالنا عبر مسيرة هذا الخطّ لا نعد للقاء حاصل، ولا نبرمج وقتًا تلتقي فيه أرواحنا، مجرّد أرواحنا...

وفي... قلت الكثير وكلّه لك، فإيّاك من خلف تلك الأماكن أعني، ولكِ أبكي وأغنّي، ومازالت مميزة لديّ لأنّكِ منها بمنزلة لطف المعاني من لطف الأواني...

صور الماضي

أكثر ما يفجعني من شبح الأيّام أن أرى ماضينا صورًا تبيت كلّ ليلة بين دمعي وجفن عيني أقلبها، أقرأ الماضي من خلالها عهدًا مضى، وجنّة أغلقت مع حكايات الأمس أبوابها، وآثارًا سحبت الرّيح عليها أذيال الفناء الأبديّ.

خائف أنا يا حبيبتي كخوفي من مكر الأيّام... إنّها لا حاضر لها، ولا مستقبلًا يَعِد الرّوح يومًا بمصافحة الماضي ولو مرَّة واحدة أمام نهم الشّوق، ومرض الفراق.

لا تسأليني كم ليلة بتّ فيها مع "ألبومات الصّور" أناجيك... أدعوك... أخاصمك نهارًا لأصالحك ليلًا... وكأنّ الليل كان عيد شفتينا المرتقب لولا إنذارات الصّبح المزعج القاسي، وكأنّ في خصامنا تجديد حياة أطماعنا لينفض كلّ منّا يديه من كلّ شيء شوقًا أن يملأها من حبيبه في ضمّة خافق، والتصاق كبد، وسباحة ليليّة التجديف في بحر العيون السّاحرة.

تعذبني فيك الصّور

ألا ما لهذه الصّور لا تنطق إلّا ويسكتها صمت كصمت الأطلال أمام وجيف الذّكريات الصّاخب! ما لها وهذا الوجوم الجامد وفي أجوافي هذا الطّود من العشق النّابض المتكلّم الماثل استعصاءً على الموت، وتمرّدًا على مطلق التّغيير الفطريّ.

أي قدر ألّا تسقط من شجرة حبّك ورقة واحدة بعد كلّ ما حدث، وليس لك يا هذه اليوم ظلّ يفيئني من لفح شمس الهاجرة، أيّ قدر أن تتلاشى الحقيقة في مقادير العشّاق ليكون نصيب الواحد منهم هذه الصّور الصّامتة الرّاقدة في مساحات الورق وأمامها استغاثات قلب لا يرى الكون في صمته سوى فكرة محبوبه، وفي نطقه سوى صوت محبوبه.

أيّ قدر يا حبيبتي أن تعذّبني فيكِ الصّور لأنّها حرمتني حرارة الشّوق من كفّيك وهما تعبثان بشعر رأسي الطّائش في سماء جنونهما العاشق الواله المتيّم... ويا الله ما أجملنا ساعة العبث والدّنيا من حولنا تتناثر أجزاؤها تناثر دمى الأطفال حول حبوه، وجلسته الصَّغيرة الضَّاحكة.

أمومة الحبّ

لم تزل يداك في خيالهما الزّائر تشرحان لأطماعي كيف تولد الأمومة من رحم الحبّ في طفرة يصعب على الفكر إدراك سرّها، والوقوف على وشيجة التّمازج بين الأم والحبيبة تعبر إلى عالمي المقفر من نضرة الرّبيع ليخضرّ على يديك يا حبيبتي وأنت كلاهما... الأمّ والحبيبة معًا.

هل تذكرين دمعتينا المتعانقتين ساعة العناق؟... دمعة الخوف عليَّ وهي تتحدّر من عينيك، ودمعة الطّفولة المشفقة الفرحة وهي تتوارد منّي. وما عيناك حينها لو أنّ لي قدرة على روعة الشّرح والتّصوير! إنّ في دمعتك المرسومة على خدّيك اختصار مجلّدات الأمومة العالميّة بجميع شروحها ليستوعبها الفكر في دمعة تعجز لغات الأرض أن تفسّرها كما فسّرتها تلك الدّمعة الطّبيعيّة الموقوفة على مخزون القلب المحبّ.

لكَم اجتهدت أن أجد لدمعتك تلك وعاء يسابقها بالاحتضان حتّى لا تقع على الأرض، وما ذاك إلّا لأنّها دمعة سماويّة المنشأ، سحابيّة الهطول، شمسيّة التّأثير... ويا الله ما أجمل الوجود وفيه دمعة خالصة لك! تهطل ساعة الخوف لا لتقنطك من الحياة بكمدها، وإنّما لتصير لك البحر وزورق النّجاة معًا... تلك هي كانت دمعة الأمومة من عينيك يا حبيبتي.

تلاشي الصّور

كلّ الصّور تتلاشى، وللأيّام قدرتها على محو الرّسوم، وتبديل ذواتنا بذوات ليست تلك التي مضت، إلّا صورتك مازلت أتحدّى بها الأيّام في قوّة رسوخها رغم كلّ ما مضى! ولقد حِرتُ أين أضعك بين ذراعي الزّمن وأنت لست ماضيًا ذهب، ولستِ حاضرًا أراه، وخيوط الآتي تكاد يقطعها اليأس لولا حسن الظّنّ في الكريم أن يجمعنا يا حبيبتي يومًا.

لا تظنّي وأنتِ هناك أنّ شيئًا هنا تبدّل؛ من دفء الفراش إلى ريح المكان، إلى خيالك في المرآة وأنتِ تبسمين بشفتي الطّفولة لأنّك لمحتني خلفك واقفًا أغار من المرآة تحبس وجهك عنّي لولا لطف القدَر أن تكون المرآة شريكة الأنوثة معك!

آه من زفرة "الآه" ثمّ آه في نسق آهاتي الثّكلى وقد قدّر لي أن أوطّن كلّ ذرّة في جسمي كلّ موضع لأناملك الغضّة فيه بصمة، يكاد المكان بما حوى يقاضيني فيك إلى محكمة الحرمان بحكم أبدي يرى استحالة الحياة اليوم قدرًا مقدورًا لي.

أفتقدك!!

أفتقدك... أراجع المكان الذي كان يجمعنا في يومي ألف مرّة أسأله عنك، وأحمله ذنب غيابك... وكأن بالمكان لا بالجنان أسباب جمعنا وافتراقنا!

أفتقدك وأشارك النّجم فقدك لأنّه انزوى عنّي وأسلمني ليد الليل السّوداء حينما غابت في محجر عينه أحاديّتي الأخرى وأنا بين خصومة النّجم، وعراكي مع قلبي أوّل شهيد في معركة هذا الغياب.

أفتقدك ليصيبني الفقد بذهول أنكر فيه أقرب النّاس منّي جلوسًا، وأنكر عذوبة الماء لأنّها اختلطت بأجاج الفقد فحولتها بفقدك ملحًا لا يهنيني تحسيه إلّا وفي راحة يدك يستطيل الكأس عذبًا سلسبيلًا.

أفتقدك لأصارع في حائط فقدك هوام الليل فتصرعني، وجيوش لفح الشّمس فتحرقني، وأعاصير هاجت في غيابك أنكرتني فطوّحت بي بعيدًا كما أنكرتني روحي بفقدك فتعدّدت في داخلي جيوشًا وأنا الفرد المبارز بسيف تحوّل خشبًا بفقدك.

حلمنا الجميل

كم بقي بيننا، وبين تحقّق حلمنا الجميل يا حبيبتي؟؟ حلم طالما استعرضنا تفاصيله الليالي ما انصرم منها، وما بقي، وواريناه عن العيون خشية أن تصيبه العيون بمغبّات الحسد، وأخفيناه حينما استودعناه حافتي الطّريق الليليّ الذي مشيناه بين رجع الحنين، وسبق الأمل المجذوذ من شاهقات الزّمان البعيدة النّدة. أتذكرين كيف ومتى استحفظناه أوراق الشّجر المتقدّمة خطانا إذ يحرّكها حادي النّسيم أمامنا فنحاول الإمساك بها، لكن يغلبنا عليها مزيج ظلام الليل مع هفهفات النّسيم الوادعة؟

وبتنا نحلم! وليتنا نعود من أوّل درجات السّلم نحلم، وما ضرّ الأيّام حلم صغيرين ما طمعا منها ما طمعت همومها، وأكدارها، ومغيبات مصائبها تنهش من صفاح لحمنا بواقي الحلم الليليّ الجميل يا حبيبتي. ويا لله من الليل حين نتخّذه مرسمًا لأحلامنا، فلا شمس محرقة، ولا سموم إنسانيّة تهبّ على زرع أحلامنا تحصده ولم يرفع رأسه ببرعم صغير يقول للحياة: ها أنذا.

كنّا نحلم وفي كفّينا عفرة تراب أخذت تتساقط ذراتها بيننا تباعًا، ونظرنا حينها هل بقي في الكفّين شيء؟ وعدنا لنقرأ في الكفّ قصّة الصّفر كيف صار وريث الأحلام بعد أن كانت الكف ملأى، وكان الأمل ثرًّا نديًّا... فهل نعود لنحلم يا حبيبتي؟ ولم نعود؟ ولمَ لا نعود؟؟

سنكبر يومًا يا حبيبتي

سنكبر يومًا يا حبيبتي، وسنترك في صفحة الأيّام هذه آمالًا وآمالًا بعُد عليها إسعاد هذا العمر يومًا يتنفّس كلّ منّا فيه رائحة محبوبه إذا ضنّت الدّنيا بأنسامها النّقيّة.

وسيمضي العمر، وحديثنا مكروب الحال، متعثّر الخطى، مقطوع الرّجاء لولا برد اليقين، وحلاوة الإيمان بالقدر.

أترانا سنستذكّر يومها عبث الصّغار ونحن كبار كبار؟ أم ترى سننعم جبين الكبر يومها بتلك الفطرة البيضاء النّقيَّة التي نعيشها اليوم... كأنّي بك حينها تضحكين على خيبة الماضي المحصور في ورقة ولعاب قلم... وقد تضحكين بشهيّة وبغير شهيّة على هذا العمر المستنفذ بين أصناف الجنون.

أنا الآن في خلوتي، وبين أوراقي، وأبحاثي، وحولي من الضّجيج ما يعينني على تصنيع الهدوء ضرورة ملحّة... وأنتِ أمامي تقطعين عليّ خلوتي العلميّة بخلوة أدبيّة ترديننني إليها، لأكون معك... فإنّ الأدب جريمتنا المنهكة بأيدينا، لا تلبث تئنّ لأنيننا، وتضحك لشاردات ابتساماتنا... أحبّك رغم أنفك، وأنفي.

دعي الأرواح تتناجى

لا... بل دعي الأرواح تتناجى على أشرعة الحروف فتزبد حيث هيجان الآراء، وتهدأ كلّما اقتربت من مراسينا الهادئة الوادعة... وأنا وأنتِ - يا حبيبتي - في خضم هذا البحر المتلاطم مجدافنا واحد لأنّ رياح التّحريك واحدة، نبحر حتّى إذا اكتظّ البحر بتعدّديّة المبحرين اتّخذنا جانبًا قصيًّا من مناجاة الرّوح للرّوح، ومضينا نقلع من رضى، ونسير في رضى، ينسج النّسيم من بسمتينا معاقيد اللقاء الأوّل، ومن ضحكتينا مواويل اللقاء الأوّل. ومتى انقضى أوّل لقاء بيننا - يا مناي -إنّه مازال في ألفيته لم يقض نوم الباء بعد.

وانطلقنا... ما لنا واختلاف الآخرين أو اتّفاقهم إذا كنت لكِ أوّل حبيب، وكنتِ لي أوّل ملاك، بل إذا كنتِ لي رحم الحياة وكنت لكِ الحياة ذاتها. ما لنا يا حبيبتي وجدال الخلاف إذا كان خلافنا لا يعدو خلاف دخول الكون الجميل من باب دون آخر واللقاء أخيرًا فناء الكون إلّا منا.

حبّك نسخ ماضيا

حبك نسخ ماضيا كنت أظنّه فجر أيّامي المقبلة، فإذا به يغيب ليقدم بحالكات الليالي... وبنفرة الرّوح من وجه شانيها.

فأقبلي يا سعد الأيّام، ويا مرفأ الأحلام، لي في جنباتك مورد الظّمآن الصّادي ومقيل المقطوع البادي، لو جرّبت الشّرب على الظّمأ فتلك هي حياتي بين واحاتك الوارفة.

وما الحبّ إلّا أنتِ أخذته كمًّا لا يتجزّأ ولا يتبدّد... وعشته اليوم كما لو أنّني لم أعرف الحبّ يومًا، ولم أقرأه إلّا في بريق عينيك الذّابلتين من احورار الدّعج المثقلتين بخواطر الشّوق، القاتلتين فلول المها غيرة وحسدًا.

ما أقسى الذّاكرة!

ما أقسى الذّاكرة المستعصية على سيف النّسيان لا تستدعي لي منك إلّا أجمل ما فيك، وأمتع اللحظات التي ملأنا الدّنيا فيها ضحكًا ولهوًا، واعتدالًا وشذوذًا... على أنّك كنت أجرم الخلق في تعذيبي، وأكثرهم تفننًا في حيرتي النّافذة إلى دواخلي الملأى بك. أنتِ مَن كنتِ لا تصلح لي حياة أنتِ فيها، ولا تصلح إن لم تكوني فيها، وما أكثر البقع الدّاكنة في صفحتكِ المطويَّة عنّي رغم أنّ صفحات النّاس لا تشرق في وجهي ما لم تسطع عليها دواكن صفحتك تلك يا معذّبتي بذنب الذّاكرة، وظلم النّسيان.

تعالي للحظات تنصفينني فيها من ذكرياتك المؤلمة وهي تحول بيني وبين الإحساس بمتع الحياة، تعالي فما أحوجني إلى جرعة نسيان لساعة أتعرّف فيها على ذاتي بعيدًا عن مشوّشات هذه الذّاكرة اللعينة... تعالي لتفصلي في هذه القضيّة فإنّ فيها محو ماضٍ وحياة موت!!

شطحات غير مسئولة ! !

الصَّمت لغة ما لا يحمله الكلام

الصَّمت لغة مَن استغنى عن الحديث فرأى البوح أقدس من أن تلوكه الألسن، فأرسل العيون تصوغ من الهمس الخافت لغة موجّهة... وللعيون مرافئ تسرح عليها لتبدو في النّاظر الآخر لغة مفهومة.

ومتى ما استغنى الإنسان عن الحديث وأرسل ما لديه عن طريق الصّمت استرسل في الحكمة من حيثُ لا يدري، ﴿ومَن يؤت الحكْمة فقد أوتي خَيرًا كَثيرًا﴾.

وللصّمت في لغة الحبّ ما يصل بالحال إلى محاكاة أنامل الاثنين وهي تنساب في بعضها لتلغي حدود الرّقابة في ذلك... فيصمت أحدهما ليناجي حبيبه مناجاة الأنامل ساعة الاختلاس... لكن إلى متى يظلّ الصّمت معراجًا لكثير ممّا لا تحمله لغة الكلام ؟؟

بين الكاتب والقارئ

لا فرق ولا مشاحة حين ينطلق الحرف من محيط الذّات وكينونتها إلى توأمها المنفصل اشتباهًا لا مصيرًا وأصالة. وما من كاتب رضع لبانة فكره، وعصارة إنسانيّته إلّا وينصب أمامه ساعة الولادة الحرفيّة ميزانًا إحدى كفّتيه تحمل قارئه والأخرى تحمل ما لم يسم فاعله من خيالاته ومشاعره الخاصّة به، وكينونة همّه الضّاربة بأطنابها على عرش الكون... حتّى إذا زفر بالحرف خرج ومعه قطعة من أحشائه هي تلك التي يراها بعض القرّاء شمسًا ويراها البعض ليلًا. وهي هي يتحسّاها البعض ماءً فراتًا، والبعض ملحًا أجاجًا... فهل فقهت بعض الأقلام سرّ هذا الازدواج؟

يا سارحات الأصيل

يا سارحات الأصيل بين مفالج الغدران، والنّسمة ترنيمة ماجت باسمها الغالي على مشارف سمعي... هل عندكنّ نبأ عن الشّوق وهو يصنع حياة الواله من جديد كأنّها النّفخة الأولى في حسبان الزّمان؟؟

آه لو رُقيَ المحب بتعاويذ الوجد ما أصابت منه إلّا نسيان العالم في سبيل تذكّرها والخلود إلى نعيمها.

يا سارحات الأصيل والدّنيا ارتسمت على شفير الجداول بعض ابتسامة افترّ بها مبسم إحداكنَّ فجلا عن وجه الدّنيا كآبة الفراق، ودكانة الوداع... هل أدركتنَّ يومًا صورة اللحم والدّم ومن خلفها روح لا استقرار لها، وقلب لا مخدع له إلّا ظلّ أثر محبوبه؟؟؟... ألا بل هل وقفتنّ ساعة على زفرات الشّوق وهي تمتحن الحشا فيبرّدها بالذّكرى أليمها، وهنيئها، وحينما يكلّ الشّوق من الفوران تعمل الآهات المتلاحقة عملها كنتيجة لاحتراق جوفي لا يعرف أمامه احتمالًا من عدمه...

كأنكنَّ يا سارحات الأصيل وأنا أوقف خيلي على مشارف الورد بعض من إحساسي، وقرب من ناري، ويد حانية تدرك طيران قلبي فتفهمه على أقلّ تقدير.

أنفاس رمضانيّة

مساء بأنفاس رمضانيّة، وصيام يغسل الأحشاء من درن العوالق، جميع ذلك يجمعنا يا حبيبتي أنا وأنتِ خارج صخب الوجود العابث، وبعيدًا عن صغائر بشريّة عاشت وماتت صغيرة صغيرة في تصوّراتها الصّغيرة... وأنتِ مَن أنتِ سوى ذلك العالم الرّمضانيّ الطّاهر كلّما لاح اسمك في ناظري أبَيت إلّا الاستقرار حيثُ اسمك، فإنّ مستقرّ اسمك هو مستقرّ ذاتك في وجودي الكائن في سويداء وجودك.

أنت مَن أهديتني ذاتك قبل رؤيتها، فرأيتها تسدّ ما بين خافقيّ لتملأني لك حبًّا فوق كلّ لون، وفوق كلّ طعم، وفوق كلّ رائحة... ولتملأني عليك عتابًا، وغيظًا من نوع"رحماك لا أصبر"، ولتملأني منك بك فلا يكاد يخلو عضو من جسدي إلّا ولك فيه معلم قائم بك، فأيّ حبّ يولع به صاحبه لَمن يهوى كما هي فلسفة الولع بذاتي تزدادين عنّي بعدًا وتزيدني إليك ذوبانًا.

ذاك هو أنا

صرت أخلد إلى ذاتي أحيانًا لا من باب التّرصّد لاصطياد فكرة أنسج وفقها عملًا أرتضيه أدبًا، إنّما أمنح النّفس ساعة تأمّل في حال الإنسان حينما يغيب من بين أوراق مفكّرته نسق ترتيب الأولويّات، فإذا به يهدر وقته الغالي الثّمين في صياغة هوامش يظنّها لبّ الموضوع، وزاوية التّركيز، ومرد الأمر... لدرجة أنّني أبكي أحيانًا لهذا الحال الذي لا يقيم اعوجاجًا، ولا يعدل مائلًا، فضلًا عن إنشاء مستقلٍ.

والضَّحيَّة في ذلك وقت زائل، وجهد مهدر، وفكر لا يدور بصاحبه ولا يدور به صاحبه إلّا حول محاولة رفع طنّ من قطن ظنّه طنًّا من حديد"حتّى إذا جاءه لم يجده شيئًا".

ذاك هو أنا؛ واقع جاثم على صدر لا يحتمله ولو كان بوزن الرّيشة، فإن كان الأمر كذلك فدعي الحال على ما هو عليه حتّى

تتبعثر ذرّات بقائي، وتتناثر بعيدًا بعيدًا. فما ضرّك منّي شيء كمحض وجودي، وقدَر تشكيلتي الغارقة فيك حدّ الخلقة من كيانها.

وما للضّرر مقياس فكلّ على حسب تحمّله، وأنا أعلم أنّ تحمّلك هنا لا يشترط جِرمًا، ولا جُرمًا، فأنت بياض لا يقبل تغييرًا مرئيًّا أو غير مرئي، محسوس، أو فاقد...

ألطاف الملمس القريب

يا ألطاف الملمس القريب خذيني، ويا مشتهى ذرّات الودّ احتويني، ويا دفء الحبّ السّاجي مع الليل البارد في دمعة عين الظّلام اسكبيني، واكتبيني سطرًا من دستور المحبّين أنّني في ذات مَن أهوى عكست مشتهيات الرّوح، واستبقيتها لأجمعها في دائرة حبّي لا تبرحه البتة.

متى سيعي العالم توحيدي المتأصّل في جذر خطابي حينما أناديه، أو أناجيه، أو أتملّق في سطوة علمه، أو أترنّم بعذوبة اسمه؟ ألا لا غرو فإنّه محبوبي كلّما احترقت به استترت بلظى جمره عن عين حاسد حقود، ورقيب عذول... أحبّك يا جذر أصل الحبّ في حياتي.

أجواء القاهرة

اشتقت للقاهرة وقد عوّدتني مددًا يسعفني من شوارعها المكتظّة، وأسواقها ذات التّاريخ الحاضر... ما لها هذه المرّة تصمت واجمة أمام فيض حاجاتي، ووابل أفكاري الغارقة في كلّي، وبعضي... سعادتي وشقائي... سقمي وشفائي... لست أدري أذاك عتاب منها، أم استبقاء حسرة لا يكتب لها بعد حرقة النّفث الصّارخ!! وأنا كما أنا لم يتبدّل منّي شيء سوى هذه الصّفقة الخاسرة مع سعادة قلبي الموعود بها من فم السّراب، واضمحلال عين اليباب، وأنا مَن اعتاد ألّا يجد لاسم سعادتي مُسمّى، فالأمر لا يعدو رسومات أوهام أديب يرسمها كما يحلو له شريطة ألّا تمسّ الوسط الخارجيّ بنزر حقيقة.

يا هل عسى أبدأ بخاتمة غير متوقّعة والحال كما هو صادق كاذب، وذاكر ساهٍ، وأنا مع ذاتي تصدمني فكرة الحياة بآلاف من أفكار الموت قبل نزول الموت.

تتعبني رنّة العود

تتعبني رنّة العود وهو يتداعى مع كلّ نقرة منه إلى إغراق تام في بحوري الضَّحلة، وهو آكد في تأثيره هذه السَّاعة الموصدة علي سجينَ حكمٍ لا نفاذ له إلّا بتخلّي لحمي عن عظمي... ويا لها من ساعة تفلس رحابة الكون أن أجد في بعض فجاجها لي اليوم متّسع عيش، أو سدّ رمق على أقلّ تقدير. وكم كنت أضحك من هذه السّاعة مستنكرًا قبول عاقل لها، فإذا بي أحد ضحاياها والسّاعة هي السّاعة مهما زوّقها قلمي الماكر.

هل تصدّقون يومًا وحيدًا بين أقران من البشر هم هو لولا فوارق العوالم القلبيَّة بينهم وبينه، إنَّها يا قوم حديث الأم لطفلها قبيل النّوم تهدهد به عينيه ليغيب بعدها، وقد غاب وبقيت بلا حديث لأنّي أعيش بلا أمّ!

حديث الخاطر الصّامت

آهٍ من حديث الخاطر الصَّامت يطلّ برأسه كما تطلّ أفعى برأسها من بين ركام القشّ الوفير لينغص على القلب أحلى ما يعانقه من روافد البشر، والسَّعد... وما من إطلالة إلّا ولها من جسدي وروحي نصيب الأسد المفترس. وآه ثمّ آه من وحدة تفتّ في عظمي ظلام الليل كرماد قاتم تشابكت خيوطه على العين فوارت بصرها عن الدّنيا الفسيحة وهي المبصرة بنفاذ يعجز الوصف أن يشرح ثاقب نوره.

هل تراني أعيش الوحدة قدرًا بين آلاف المؤانسين لي، ثمّ أتجاهل وجودهم يأسًا من وجودهم، أو تماديًا في تجاهلهم، وما عسى أن ينفعني وجودهم وهم ما هم إلّا أسراب وهم لا حقيقة لها في مقاييس وجودي، وكأنّ وجودي ذلك العالم المغمور في لجج من عالم الجهل الخفيّ...

حيرة ووحدة، وعود على بدء، وبدء لا يفي بحقِّ العودة إلّا أن يخلق لي مثيلًا مشابهًا بعد فنائي وتلاشي ذرَّات وجودي في هذا العالم الغائب عن ذاته. إنّني أخبط هنا خبط ضرير فقد قائده قبل فقد الجهات من حوله، ثمّ هو ذا يتلمّس الدّرب بعصا مكسورة لا تقوى على السّير به إلّا بمقدار ما يشير بها مرّة فريدة يتيمة لإحدى الجهات المجهولة يا قلبي.

((حبّ البريمي))

عن حبّ البريمي يسألونني. عن مساحات شاسعة من رصيد الماضي المستتر خلف حجب الغيب الأمين...

عن دروب زرعناها خطى متلاحقة وغير متلاحقة، متقطعة أحيانًا وأحيانًا يستبدّ بها المسير آتية ذاهبة لا يقنّنها هدف، ولا تلحّ عليها حاجة سوى حبّ تلك الدّروب والسّكك.

عن النّخيل الباسقات وأفلاجها العذبة، ونداء الصّبح النّديّ يقطع علينا أحلام الليل لنشهد معه كيف تفلسف الشّمس عناق النّخل مع أشعّتها، وعناق الورد مع نسيمات الصّباح الوادعة الرّيّضة، وقبلة النّدى فوق مباسم الزّهر الضَّاحكة...

عن جبالها السّماويَّة الرَّاسخة، وترابها المسكيّ المعفر به كلّ موضع من جسدي حبًّا واشتهاءً، وهضابها المعشوقة لسمار الليالي تكاد ترقص تموجًا من الدّلال كلّما شارفتها محاضن الأنسام فإذا بها تنشد الاستقرار ليلًا ليحلو مع لياليها السّمر، وشخوص عيون السّهر.

وعن كلِّ شيء في مستودع الصّبا الذّاهب النّابت فوق ترابها، الجامحة به رياحها، السّائر به تاريخها.

عن حبّ البريمي يسألونني!! وهل تقوى أدوات الشّرح والإجابة أن تفصل في مذاق الحبّ، ولونه! إنّ الحبّ هنا سرّ خفيّ أشبه بعقد الطّلاسم كلّما خفي سرّها دلّ على قوّة تأثيرها، كذاك حبّها الباقي بعد رحيلي سرّ عزفي ونزفي، سرّ علمي ومعرفتي، سرّ نظري وفطنتني...

أحبّها حبّ الطّفولة لمهدها، أحبّها حبّ الكهولة لشبابها، أحبّها حبّ الفرع لأصله، أحبّها اختيارا لا جبر يؤصله، وفطرة لا تكلّف يشوبها، وانتماء لا بدائل تكدّر عليه صفوه... ولم تزل رغم تغيّر الملامح بكر رغباتي، وبدء غاياتي، فمنها كانت النّشأة الأولى، وأرجو أن تكون إليها فزعة المنتهى.

أنا ذلك الكائن!

حينما تتمخَّض حقائق الكون عن فلسفة وجودها لا تعلق في قاع الإناء سوى فكرتين اثنتين لا غير. القدرة المطلقة المتمثّلة في الحاكميّة العظمى للوجود، وكينونة ذاتي التي عميت عيني أن ترى غيرها بين أشباح هي ذات النّسخة من تلك الكينونة.

"أنا" ذلك الكائن المنفكّ عن غيره من بني خلقته لا يجبر على اعتراف بأحد، ولا سلطان عليه إلّا من جهة القدرة العليا، وما عداها فلا واقع، ولا ينبغي أن يذعن لتأثير تحت أيّ ادّعاء مهما أفرد ذاته في مسرح الوجود ممثّلًا عن بني جنسه.

أنا هنا ومنذ زمن خصيم هذا العقل المدمّر، أنا خيال لا يعترف بوجوده غيري، وخرافة مقصورة على فهمي، وسراب هو مطعمي ومشربي، وتناقض من روافد الذّات في مجموع انفعالاتها لا أنتظر حكمًا عليه من أحد، فليدعني هواة الأحكام، ومحترفو النّقد، ورسل التّعييب، وعبدة الواقع، وساسة الصّواب وما ينبغي وما لا ينبغي، فلتدعني تلك العيون المتطفّلة إذ تزيغ في تصويب الخطأ، وهي التي انغمست في خطأ الفضول من حيث لا تعلم.

ما لي أرى الكون من حولي تتآكل جوانبه، وتفنى كائناته مهدّدة بالانقراض الحتميّ لأنّ ثمّة مَن بيده قلم التّصويب آخذ في رسم الخارطة الإنسانيَّة وفق نظرة خاصّة تعصم من الخطأ، وتفني الوجود بقلم التّصحيح!!

انقضى العيد!!

انقضى العيد وعلى شفتي ابتسامة لم يكتمل رسم عنقودها اللؤلؤيّ المشعّ، وانقضى العيد وفي رسوم الأشخاص غرست سهام النّظر أتفحّصهم كالموكل بهم فردًا فردًا، وما ذاك إلّا لأنّك لم تكوني بينهم، ولم تسابقني تهنئتك لدى خروجي من المصلّى تحفني بدعائها، وبحرصها وسؤالها، بملمسها النّاعم وهي تسبح في فضاءات مسمعي المنصت.

انقضى العيد وكم كان لي في جنباته أهازيج من صوتك المغرّد، وروعة الطّبيعة الخلّابة كم يا حبيبتي خلونا مع صمتها المسبّح المهلّل كيما نعطي شخصينا شرودًا من صخب النَّاس وضجيجهم يوم العيد.

انقضى العيد وأطراف قصّة حبّنا كانت مشروحة في قسمات وجهك لا ينقص منها فصل، ولا تغيب عن شرهة خاطري منها فاصلة أو نقطة من عناق كفّينا إلى سيل القبل بين شفتينا.

آه يا حبيبتي من كرِّ الأيَّام نسابقها فتسبقنا ثمّ تخلّفنا وراءها تماثيل من عشق الأساطير بقيت قُبَلها وتلاشت شفتاها!!

دبي

أوَتنكرني "دبي" لأنّ بيني وبينها بعض المسافات الفاصلة... كلا...! وَمن يقوى على فصل الرَّأس عن جسده؟؟ أم مَن يقوى على اجتثاث البدر من هالته؟؟

"دبي" عبق أجدادي، ومربى آبائي وأتلادي... وهي تعلم أنّ في وجهي من رسم أناملها ملامح الانتماء، وعلامات العزّة والإباء، وفي خلايا جسدي منها شواهد الحياة السَّرمديَّة الخالدة أنّنا أولاد خلّص لصافي الوفاء... ومسارح الإخاء مهما تأوّلت الأرض بُعد السّماء عنها، تظلّ السَّماء سقفها الحافظ رغم كرّ السّنين، ومكر الأيَّام.

ولست بغريب عليها، ومتى كانت البنوّة غربة وهي المتقلّبة في حجر أمّها تنعمًا، وتحببًا، وتدللًا... وكيف يكون التّأويل مقبولًا ولو أبصرت الخليقة لرأت قدم جدي تزاحم حبَّات الرَّمل كثرة فوق شواطئها، وأبرارها... أيّ تساؤل ذاك الذي يميتني قبل موتي غصّة من ادّعاء ما لا واقع له سوى الظّنّ الغريب من كلّ غريب...

هذه لغتي، وذاك أدبي، وتلك هي حشاشة الرّوح تسكب فوق صفحات من أدب لا يرقى رقيّه إلّا لأنّ جدّي "رحمه الله" سقانيه من نبع "الممزر" في طريقه إلى رحلة الغوص الخالدة.

تمَّت.

السيرة الذاتية

- عماني الجنسة من محافظة البريمي .
- باحث بمرحلة الدكتوراة- جامعة الأزهر بالقاهرة.
- مدرس بكلية البريمي الجامعية- شعبة القانون.
- رئيس جميعة اتحاد الكتاب والأدباء – فرع البريمي.
- له ديوان وشعر وكتب أخرى تحت الطبع.